وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية: العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قسم: التاريـــــــــــخ

الرقم التسلسلي:.....

رقم التسجيل:.....

العلاقات الجزائرية التونسية في فترة حكم حمودة باشا الحسيني (1196 – 1229 هـ / 1782 – 1814 م)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر LMD في تخصص: تاريخ الجزائر الحديث 1519 – 1830

إعدادالطالبين:

1- خبـــال مختار

2- شيكوش حمينة محمد

تحت إشراف الدكتور :

بيـــــرم كمال

أمام لجنة المناقشة:

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
1				رئيسا
2	ا.د بيرم كمال	أستاذ محاضر أ	محمد بوضياف المسيلة	مشرفا ومقررا
3				ممتحنا

السنة الجامعية: 2021 /2022

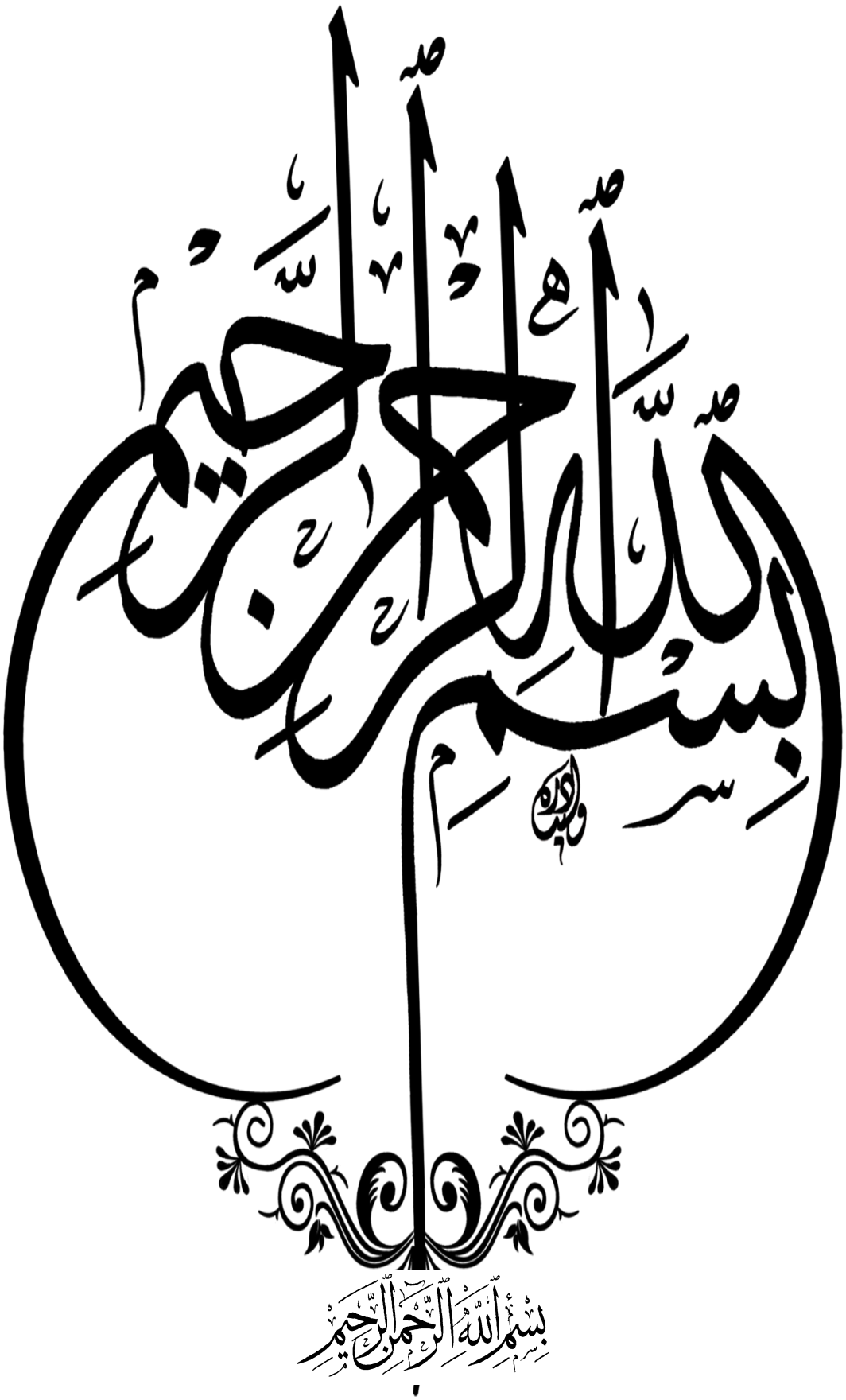
بسم الله الرحمن الرحيم
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

قال الله تعالى في محكم تنزيله : " فاذكروني أذكركم و اشكروا لي و لا تكفرون "

سورة البقرة ، الآية 152 .

الشكر لله عزوجل أولا وأخيرا على ما وهبنا به من نعم ، والحمد لله الذي وفقنا على اتمام هذا العمل.

نتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف الدكتور : كمال بيرم لما بذله معنا من جهد للإشراف على هذا البحث ، وتتبع خطواته ، كما نتقدم بالشكر للأستاذ الدكتور محمد الشريف حسين على مساعدته لنا في بداية انجاز المذكرة واقتراحه لموضوعها ، و إلى كل من ساعدنا و قدم لنا يد العون في هذا العمل سواء من قُريب أو بعيد .

الإهداء

الحمد لله على منه وفضله ، نهدي ثمرة عملنا هذا إلى الوالدين الكريمين ، اطال الله في أعمارهما ، وبارك الله في صحتهما ، الذين لم يبخلا عنا بدعمهما ودعائهما لنا طيلة الوقت ، كما نهدي هذا العمل إلى كل من ساعدنا ودعمنا في انجاز مذكرتنا التي نتمنى أن تكون دراسة جديدة تضاف للدراسات التي تخص تاريخ الجزائر الحديث ، راجين من الله كل التوفيق .

قائمة الرموز

الرمز	المعنى
تر	ترجمة
ج	جزء
مج	مجلد
ع	عدد
ط	طبعة
تح	تحقيق
تع	تعريب
تق	تقديم
مر	مراجعة
د د ن	دون دار نشر
تص	تصحيح
ص	صفحة
ص ص	تعدد صفحات
د س ن	دون سنة نشر
د ط	دون طبعة

مقدمة

مقدمة:

مما لا شك فيه أن الفائدة من الدراسات التاريخية هو معرفة الماضي للإستفادة في الحاضر و استشراف المستقبل، حيث ركزت البحوث التاريخية في العصر الحديث والمعاصر على مختلف العلاقات التي كانت قائمة بين الدول من حيث مظاهر العداء والتوتر و السلم عبر مراحل زمنية مختلفة ، لكل مرحلة مميزات تختلف عن الاخرى ، ومن خلال بحثنا هذ سنحاول الكشف عن طبيعة العلاقات التي كانت تربط بين إيالتين من إيالات الخلافة العثمانية وهما الايالة الجزائرية والايالة التونسية في فترة حكم حمودة باشا (1782 – 1814 م) .

لقد استطاع حمودة باشا أن يبني علاقاته وفق ما تستوجبه مصلحة بلاده ، وهدفه في ذلك استعادة مكانة تونس وهيبتها ، والتخلص من التبعية وسيطرة دايات الجزائر .

من دوافع اختيارنا لموضوع دراستنا الموسوم بعنوان: **العلاقات الجزائرية التونسية في فترة حكم حمودة باشا(1782–1814م)** جملة من العوامل الذاتية والموضوعية أبرزها : رغبتنا الذاتية و ميولنا الشخصي لدراسة هذا النوع من الموضوعات المتعلق بجانب العلاقات بين الدول ، خاصة في الفترة العثمانية مجال اختصاصنا ، و محاولة الاستزادة أكثر في هذا المجال ، ومعرفة طبيعة العلاقات التي نشأت بين إيالتين متجاورتين مختلفتين في نظام حكمهما ، وتجمعهما روابط الاخوة و الإسلام .

ومن العوامل الموضوعية لاختيار الموضوع محاولة الكشف عن الأحداث التي شهدتها كل من الجزائر وتونس خلال فترة حكم حمودة باشا في تونس و استمرار حكم دايات الجزائر وتطور علاقاتهما بعد اعتلاء حمودة باشا باي لسدة الحكم في تونس .

اما اختيارنا لفترة حمودة باشا فقد جاء لسبب: ما تميزت به هذه الفترة من أحداث داخلية وحروب خارجية شهدتها كل من الجزائر وتونس ، و سعي هذه الاخيرة للتخلص من التبعية لدايات الجزائر .

و من الدوافع أيضا قلة الدراسات و الابحاث التي تخصصت في دراسة هذا النوع من العلاقات خاصة خلال فترة حكم الباي الثائر حمودة باشا الحسيني و الاهتمام بدراسة نموذج لعلاقات قامت بين إيالتين متجاورتين تحت راية الخلافة العثمانية .

إن الهدف من الدراسة هو تسليط الضوء عن مرحلة مهمة من مراحل الإيالتين الجزائرية والتونسية اواخر القرن 18 م وبدايات القرن 19 م ، و معرفة طبيعة العلاقات التي قامت بين الإيالتين خلال عهد حمودة باشا ، و ما تخلل ذلك من مظاهر للسلم والتعاون و التبادل التجاري و الروابط الاجتماعية والتواصل الثقافي .

الإطار الزماني لفترة الدراسة مرتبط بتاريخ تولية حمودة باشا السلطة إلى غاية نهاية فترة حكمه ، الممتدة من (1196 – 1229 هـ / 1782 – 1814 م) .

وبعد ان تبلورت لنا فكرة البحث بدأنا في صياغة الموضوع وفق المادة التاريخية التي توفرت لنا و التي قمنا بتجميعها **، ومنه طرحنا إشكالية البحث** في :**ما طبيعة العلاقات التي جمعت ايالة الجزائر بإيالة تونس خلال فترة حمودة باشا .**

ويتفرع عنها جملة من التساؤلات تمثلت في :

– ما هو الوضع العام الذي كان قائما في كل من إيالتي الجزائر وتونس خلال القرن 18 م في جميع المجالات؟

–وما هو تأثير شخصية حمودة باشا في سير العلاقات التونسية الجزائرية ؟

–فيما تمثلت مظاهر الود والتوتر بين الايالتين خلال فترة حمودة باشا؟

– ما طبيعة العلاقات التجارية بين البلدين و مظاهرها ؟ وفيما تمثلت الروابط الإجتماعية التي كانت قائمة بين الإيالتين آنذاك؟ و ما هي مظاهر التواصل الثقافي بينهما ؟

اعتمدنا في دراستنا على خطة اشتملت على مقدمة وثلاث فصول وخاتمة ، نلخصها فيمايلي :

- **الفصل التمهيدي بعنوان : الأوضاع العامة في إيالتي الجزائر وتونس خلال القرن 18** م ، وقد قسمنا هذا الفصل إلى مبحثين ، في المبحث الاول تناولنا الوضع العام في إيالة الجزائر من حيث الجوانب السياسية ، الإجتماعية و الثقافية ، اما المبحث الثاني ، كذلك حاولنا معرفة الاوضاع التي كانت قائمة في إيالة تونس قبل مجيء حمودة باشا للحكم في مختلف المجالات .
- **الفصل الأول بعنوان: العلاقات السياسية بين الإيالتين خلال فترة حكم حمودة باشا** من سنة 1782 م الى غاية وفاته 1814 م ، وقد قسمنا هذا الفصل إلى مبحثين ، تطرقنا في المبحث الاول : العلاقات

السياسية التي كانت قائمة بين الإيالتين نهاية القرن 18 م أي من سنة 1782 م إلى سنة 1800 م ، و تناولنا في المبحث الثاني: تكملة للعلاقات السياسية مع بداية القرن 19م في الفترة (1800- 1814م).

- **الفصل الثاني بعنوان :مظاهر العلاقات التجارية ، الإجتماعية والثقافية خلال فترة حمودة باشا،** وقد قسمنا الفصل الثاني إلى مبحثين ، حاولنا في المبحث الاول : معرفة العلاقات التجارية التي كانت قائمة بين الإيالتين واهم المبادلات التجارية والطرق و الأسواق التجارية ، وتكلمنا في المبحث الثاني عن اهم الروابط الإجتماعية والتواصل الثقافي الذي كان قائما بين الإيالتين خلال الفترة المذكورة آنفا .

و ككل دراسة تاريخية لابد من اتباع منهج سليم يوصل الباحث إلى نتائج مهمة و موضوعية لبحثه ، وفي هذا الصدد فقد اتبعنا في دراستنا هذه **المنهج التاريخي الوصفي** لوصف الأحداث و الاوضاع العامة للإيالتين ، باعتباره منهجا صالحا لتتبع الوقائع والاحداث التاريخية وتحليلها تحليلا علميا بعيدا عن الذاتية والأحكام الفردية بغية الوصول إلى النتائج المرجوة ، والإجابة عن التساؤلات التي طرحت في فصول هذه الدراسة .

إن أهمية الفترة التي مرت بها العلاقات بين الإيالتين وما توفر من مادة علمية هي التي جعلت الباحثين يهتمون بكل تفاصيل أحداثها سواء المؤرخين الأقدمين منهم والمحدثين ، فألفوا كتبا ومقالات و قدموا رسائل في هذا الموضوع ، ومن أبرز الدراسات التي تناولت موضوع دراستنا نذكر :

-الدراسة التي قام بها الاستاذ الدكتور : **عمار بن خروف بعنوان : علاقات الجزائر السياسية مع تونس في عهد الدايات (1671 – 1830 م)** ، والتي أشار فيها إلى علاقات حمودة باشا ضمن بحثه .

-و مذكرة ماجيستر للطالبة **كوثر العايب بعنوان : العلاقات بين الجزائر وتونس في عهد الدايات (1671 –1830 م)** التي تناولت فيها العلاقات الجزائرية والتونسية في فترة الدايات إلى غاية الإحتلال الفرنسي للجزائر من كل الجوانب السياسية ، الإقتصادية ، الإجتماعية والثقافية .

وما يجب الإشارة إليه أن هذه الدراسات قد تطرقت العلاقات الجزائرية والتونسية في فترة حكم الدايات ، وقد وفرت لنا مادة تاريخية ساعدتنا كثيرا في إنجاز ها البحث .

وقد اعتمدنا في اعداد المذكرة على مجموعة من المصادر و المراجع العربية و الأجنبية على قلتها ، وبعض المقالات والدراسات التي تخصصت في دراسة التاريخ الحديث للجزائر وتونس خلال العهد العثماني ، والتي أولت عناية بدراسة هذا الجانب من العلاقات التاريخية المغاربية ، ومن هذه المؤلفات نذكر :

-**كتاب إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الامان لمؤلفه : أحمد بن أبي الضياف** الذي كان كاتبا ومستشارا للبايات الحسينيين .

-**كتاب مذكرات احمد الشريف الزهار لمؤلفه أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر** الذي اعتمدنا عليه كونه مصدر محلي تناول موضوعات مهمة عاصرت فترة حكم حمودة باشا .

أما عن المراجع فقد اعتمدنا على :

-**كتاب سياسة حمودة باشا في تونس (1792 – 1814 م) لمؤلفه رشاد الإمام .**

- **كتاب التجارة الخارجية للشرق الجزائري لمؤلفه محمد العربي الزبيري** ، الذي أمدنا بمعلومات مهمة في الجانب الإقتصادي ، وأوضاع بايلك الشرق بعاصمته قسنطينة و علاقاته بتونس ومراجع أخرى ذات صلة بالبحث.

و ككل دراسة أو بحث علمي لا يخلو من الصعوبات التي تشكل للطالب عقبة ، ولعل أبرز هذه الصعوبات التي وقفنا عندها هي عملية البحث عن المادة العلمية ومصادرها ونقص بعضها المتعلق بفترة الدراسة ،

ورغم النقائص نأمل أن نكون قد أحطنا ولو بالقليل عن جوانب دراستنا ، ونكون قد وفقنا في الوصول إلى النتائج المرجوة .

الفصل التمهيدي : الوضع العام في إيالتي الجزائر و تونس في القرن 18 م

المبحث الأول: الوضع العام في إيالة الجزائر.

المبحث الثاني: الوضع العام في إيالة تونس.

الفصل التمهيدي : الوضع العام في إيالتي الجزائر و تونس خلال القرن 18 م

المبحث الأول: الوضع العام في إيالة الجزائر خلال القرن 18 م .

1- الوضع السياسي .

2- الوضع الاقتصادي .

3- الوضع الاجتماعي والثقافي .

إن الدارس لتاريخ إيالتي الجزائر وتونس في العصر الحديث يقف عند جملة من الأحداث والتطورات التي عرفتها في هذه الفترة من الزمن سواء من الناحية السياسية ، الاقتصادية ، الاجتماعية و الثقافية ، والتعرف على طياتها والأثر الذي لعبته في تحديد العلاقات بين البلدين في الفترة العثمانية ، فمن الناحية السياسية عرفت إيالة الجزائر أربع مراحل للحكم وكانت لهذه المراحل آثار بالغة في تاريخ هذه الإيالة ، أما إيالة تونس فشهدت هي الأخرى تغيرات في نظم الحكم نهاية إلى الأسرة الحسينية ، و من الناحية الاقتصادية فقد كانت متماثلة بين الإيالتين ، فكانت الزراعة هي المصدر الأساسي للعيش في شمال إفريقيا ، وكانت الحياة الاجتماعية والثقافية الخاصة بالإيالتين مزدهرة نوعا ما وهذا ناتج للتأثيرات الخارجية التي توافدت على القطرين ، ومن هنا قبل أن نتطرق على واقع العلاقات القائمة بين إيالتي الجزائر وتونس في عهد حمودة باشا (1782 – 1814 م) لابد من الإشارة إلى الأوضاع العامة التي مرت بها الإيالتين في القرن 18 م ، و أهم مميزاتها والتحديات التي واجهتهما ، وفي هذا السياق نطرح الإشكالية الآتية : ما هو الوضع العام الذي كان قائما في كل من إيالتي الجزائر وتونس خلال القرن 18 م ؟

المبحث الأول : الوضع العام في إيالة الجزائر خلال القرن 18 م :

1- الوضع السياسي :

صاحب تسلم الدايات السلطة منذ سنة 1621 م في الجزائر ضعف ارتباط الجزائر بالدولة العثمانية ، وانحصرت مظاهر التبعية في تقديم الهدايا ، وتبادل الرسائل بين الداي والسلطان العثماني في المناسبات دليلا على الولاء ، فقد صارت تبعية الجزائر للدولة العثمانية عبارة عن تصديق السلطان لتولية الداي الجديد كل سنتين أو ثلاث ، بالإضافة إلى تقديم المساعدة من طرف الأسطول البحري الجزائري للأسطول العثماني في حروبه كلما تطلب ذلك ، وفي المقابل كان دايات الجزائر يجلبون الجنود الأتراك من جزر البحر المتوسط والأناضول ، ووصل استقلال دايات الجزائر إلى الحرية في توقيع المعاهدات مع الدول الأجنبية مباشرة دون الرجوع للدولة العثمانية[1] .

وفي عهد الدايات أخذت تشكيلات إيالة الجزائر شكلها الأخير، وصار يوجد إلى جانب الداي ديوان هو مجلس الشورى ، وهو مؤلف من موظفين منهم : المسؤول عن الخزينة ، والناظر لشؤون المالية ، والمكلف بالشؤون البحرية ، وهو وكيل الحرج ، ووزير الحربية[2] ، إلى جانب خوجة الخيل ، والبيت مالجي ، إلى جانب ذلك الآغا وهو قائد الجيش البري ، وشيخ الإسلام ، والمفتيان الحنفي والمالكي ، وكانت الجزائر مقسمة إلى أربع بايلكات ، على رأس كل وحدة باي يعينه الداي ، يساعده قواد ومشايخ في البايلك ، إلى جانب قوات من الجنود الإنكشارية[3] والقبائل الموالية المعروفة بقبائل المخزن التي كانت معفاة من الضرائب مقابل مهمة تأمين البايلك[4] .

1- حنيفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ، دار الهدى للطباعة و النشر والتوزيع ، الجزائر، ط1 ، 2008 ، ص 129 .

2- أرجمنت كوران ، السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر، تر: عبد الجليل التميمي ، منشورات الجامعة التونسية ، تونس ، 1970 ، ص28 .

3- **الإنكشارية** :وتعني بالعثمانيةيني جري ،و هي بمعنى القوات الجديدة ، و هي فيالق عسكرية تكونت من ابناء رعايا الدولة الذين تم جمعهم ما بين السادسة والخامسة عشرة من عمرهم من مختلف الولايات العثمانية في اوربا في وقت معين من السنة و اول من انشاهم اورخان بن عثمان ، قدمت الانكشارية خدمات كبيرة للدولة العثمانية ثم فسد نظامهم ، و تمردوا على الدولة فأبادهم السلطان محمود الثاني في مذبحة جرت في الآستانة سنة 1826 م ، ينظر : سهيل صابان ، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، 2000 م ، ص 41 .

4- محمد خير فارس ، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي ، مكتبة دار الشرق ، بيروت، ط1 ، 1979 ، ص 72.

أما بالنسبة للقوة البحرية الجزائرية فقد تراجعت مع بداية القرن 18 م ، مقابل تزايد قوة البحرية الأوربية ، وحدت المعاهدات مع الدول من نشاط البحرية الجزائرية ، وقلت الغنائم ، و تراجع مستوى البحارة الجزائريين ، و تراجعت معه عدد السفن الجزائرية تراجعا كبيرا[1].

ولكن الجزائر تمكنت مع نهاية القرن 18 م من استكمال استقلالها في سنة 1792 م ، باسترجاع مدينة وهران من الإسبان بعد صراع طويل دام حوالي ثلاثة قرون ، وكان لذلك الحادث تأثير كبير على كل الميادين السياسية ، الاقتصادية و حتى الاجتماعية[2] .

2- الوضع الاقتصادي :

شهدت الجزائر خلال القرن 18 م في ظل الحكم العثماني تطورا ملحوظا في بعض النشاطات الزراعية والحرفية والتجارية ، وتعتبر الزراعة المورد الرئيسي الذي يؤمن معيشة غالبية سكان الإيالة[3] ، غير أنها تميزت بالبساطة والبدائية[4] ، ولكن ما يمكن ملاحظته هو تنوع المحاصيل الزراعية ، وعلى رأسها القمح والشعير إضافة إلى الأشجار المثمرة ، والزيتون، وهي موزعة حسب مناطق الإيالة والأوطان و الفحوص والبايلكات[5] .

كما شغل معظم سكان مدينة الجزائر تربية المواشي ، لاسيما سكان الصحراء ، فيعتبرون من أكبر المالكين لأنواع من هاته الحيوانات والمتمثلة في الجمال والبقر والخيل[6] .

1- محمد خير فارس ، المرجع السابق ، ص 92 .

2- محمد العربي الزبيري ، مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث ، المؤسسة الجزائرية للطباعة ، الجزائر ، ط2 ، 1975 ، ص ص 70 – 71 .

3- ناصر الدين سعيدوني ، الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر (دار السلطان) أواخر العهد العثماني (1791 – 1830 م)، الجزائر ، دار البصائر للنشر و التوزيع ، 2012 ، ص 30 .

4- حنيفي هلايلي ، المرجع السابق ، ص 152 .

5- اشتهرت كل من معسكر ووهران و بجاية وقسنطينة بزراعة الحبوب ، ينظر : حمدان بن عثمان خوجة ، المرآة ، تق : محمد العربي الزبيري ، منشورات ANEP ، الجزائر ، 2006 م ، ص 50 .

6- صالح فركوس ، المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين (814 م – 1962 م) ، دار العلوم للنشر والتوزيع ، عنابة ، 2002 م ، ص 123 .

كما عرفت إيالة الجزائر إنتاج بعض الصناعات الحرفية ، إذ اشتهرت مدينة البليدة بصناعة قماش المناديل على خلاف مدينة معسكر التي اختصت بصناعة البرانس الشهيرة ، وعليه تجدر الإشارة إلى أن كل حرفة في مدينة الجزائر كانت تخضع لسلطة الرئيس و يلقب بـ " أمين " مثلا الدباغين ، الطرازين ... الخ[1] .

ومن أهم المنتوجات التي اشتهرت في مدينة الجزائر الأحزمة الحريرية ذات الحواشي المزينة بالألوان اللامعة الحمراء والبنفسجية ، بالإضافة إلى الحائك الذي ترتديه النساء في المناسبات[2] ، و الألبسة النسائية يتم نسجها من القطن الجيد لنساء الرسميين في الإيالة ، بالإضافة إلى قيامهن بتطريز القفطانات والأدوات الأخرى من الألبسة الخاصة بالرجال والنساء[3] ، ناهيك عن صناعة الشواشي التي أتى بها الأندلسيون إلى مدينة الجزائر وصناعة سروج الخيل[4] .

اتسعت حركة النشاط التجاري في مدينة الجزائر في العهد العثماني سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي ، وهذا نظرا لاحتواء هذه الأخيرة على أسواق كثيرة بالمنتجات خاصة الشمع والجلود ، ويمكن تقسيم التجارة في مدينة الجزائر إلى تجارة داخلية التي احتكرت من طرف اليهود ، وجل أرباحها تعود إلى هذه الفئة .

وقد احتوت مدينة الجزائر على العديد من الفنادق والرحبات ، خصصت الفنادق للمسافرين من أجل الاستراحة فيها على خلاف الرحبات التي استعملت للمتاجرة في مواد معينة كالقمح والفحم[5] .

و كانت المبادلات التجارية بين مدينة الجزائر والمناطق الأخرى للإيالة تتم عبر شبكة من الطرقات ، والتي

1- حمدان بن عثمان خوجة ، المصدر السابق ، ص ص 55 -59 .

2- أمين محرز ، الجزائر في عهد الأغوات (1659 – 1671 م) ، مذكرة لنيل شهادة الماجيستر في التاريخ الحديث ، جامعة الجزائر ، 2007 – 2008 ، ص 189 .

3- وليم سبنسر ، الجزائر في عهد رياس البحر ، تع و تق : عبد القادر زبادية ، دار الفضة للنشر والتوزيع ،الجزائر ، 2000 ، ص ص 88 – 110

4- نور الدين عبد القادر ، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم العصور إلى انتهاء العهد العثماني ، دار الحضارة ، الجزائر ، 2006 ، ص ص 145 – 146 .

5- أمين محرز ، المرجع السابق ، ص ص 190 -193 .

نوردها كالآتي : الطرق الرئيسية المتمثلة في ثلاث طرق متجهة إلى عواصم البايلكات تقوم بحراستها قبائل المخزن[1] ، وطريق الشرق الذي يربط مدينة الجزائر ببايلك الشرق ، والطريق الغربي الذي يتجه نحومدينتي معسكر ووهران، وطريق الجنوب فهو يصل مدينة الجزائر بمدينة المدية ، ويمتد إلى الصحراء[2] ، ومن أكثر الطرق ارتيادا من طرف القوافل التجارية هو طريق البليدة وطريق القليعة ، وقد ساهمت هذه الطرق في تسهيل تنقل الأفراد والسلع[3] .

أما التجارة الخارجية فقد اقتصرت على الغنائم البحرية التي تعتبر المصدر الرئيسي لثروة رياس البحر وحكام إيالة الجزائر ، و استخدموا اليهود في كثير من المعاملات التجارية ، خاصة المتعلقة بالمفاوضات مع التجار الأوربيين لعدم إجادة حكام إيالة الجزائر للغات الأوربية[4] .

3- الوضع الاجتماعي والثقافي :

3-1- الوضع الاجتماعي :

مع بداية القرن 18 م أخذ عدد سكان الإيالة في التراجع باستمرار ، وهذا من جراء الأوبئة والمجاعات التي طالت إيالة الجزائر ، بالإضافة إلى انتقال السكان إلى الأرياف لعجزهم عن دفع الضرائب التي أثقلت كواهلهم[5]وفي هذا الصدد لابد من الحديث عن أهم الفئات الاجتماعية التي عرفتها إيالة الجزائر في القرن 18 م ، والتي سنوردها إجمالا كالآتي : أولا : الأتراك ، والتي يقصد بها الفئة الحاكمة في إيالة الجزائر ، تشكل في معظمها من الجنود الأتراك .

1- **قبائل المخزن** : هي تجمعات سكانية تعميرية متمايزة في أصولها ، مختلفة في أعرافها ، فمنها من أثره الأتراك بالأراضي التي وجد عليها لتكون سندا لهم ، ومنها من أعطيت لها الأراضي لتستقر عليها ، ومنها من استقدم كأفراد مغامرين أو متطوعين من جهات مختلفة لتؤلف جماعة شبه عسكرية ترتبط مصالحها بخدمة الحكومة التركية بالجزائر ، ينظر : ناصر الدين سعيدوني ، ورقات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العثماني ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1 ، 2000 م ، ص 544 .

2- ناصر الدين سعيدوني ، الحياة الريفية ... ، المرجع السابق ، ص ص 287 – 288 .

3- أمين محرز ، المرجع السابق ، ص 193 .

4- وليم سبنسر ، المرجع السابق ، ص ص 100 -101 .

5- عمار بوحوش ، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962 م ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1 ، 1997 م ، ص 73 .

والفئة الثانية في الهرم الاجتماعي : الكراغلة ، و هم المولودون من آباء أتراك و أمهات جزائريات إلا أنهم لم يتمكنوا من تقلد المناصب العليا في الإيالة ، وهذا راجع إلى رغبة العثمانيين في إبعاد العنصر المحلي عن مقاليد السلطة ، بالإضافة إلى الحضر و هي الفئة الثالثة[1] ، وهم السكان الأوائل للمدينة يشتغلون كتجار وعمال ، فهم أيضا أصحاب حرف[2] ، ويمكن من خلال ذلك التمييز بين ثلاث مجموعات ، الأولى تتكون من العناصر المحلية ، والمجموعة الثانية تتشكل من الوافدين من المدن واندمجوا في هاته المدينة على خلاف المجموعة الثالثة التي تضم العنصر الأندلسي ، ولقد شكل المهاجرون الأندلسيين من جماعة الحضر ، و هذا على إثر استقرارهم بمدينة الجزائر منذ عام 1609 م[3] ، وساهموا بشكل خاص في تطوير الجوانب الاقتصادية والاجتماعية ، وذلك من خلال ممارستهم لمختلف الصناعات المحلية كصناعة الخزف[4] ، وتوجد جماعة البرانية وعادة ما يسمون باسم الجهة التي أتوا منها على سبيل المثال : البساكرة و الجيجليون ، وكانوا يشتغلون في مهن متواضعة تحت إشراف أمين يختار من طرف البايلك ويساعده أعوان وكتاب .

كما قسم سكان الأرياف إلى ثلاث أصناف : قبائل المخزن ومثلت الجيش الإحتياطي في الجزائر ، والفئة الثانية : القبائل التي تقوم بالخدمة العسكرية مقابل الإعفاء من الضرائب ، والفئة الثالثة هي القبائل الممتنعة والتي يشترط عليها دفع الضرائب ، أوكلت لهاته القبائل مهمة إحلال الأمن بين القبائل [5].

وهناك فئة اليهود ، وهي إحدى الطوائف المهمة لكثرتهم وتحكمهم في النشاط التجاري[6] .

1- أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي (1500 – 1830 م) ، ج 1 ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ط1 ، 1998 م ، ص ص 153 – 155 .

2- ج . آو . هابنسترايت ، رحلة العالم الألماني إلى الجزائر و تونس وطرابلس(1145 هـ – 1732) ، تر و تق و تع :ناصر الدين سعيدوني ، دار الغرب الإسلامي ، تونس ، 2007 م ، 32 .

3- روبير مانتران ، تاريخ الدولة العثمانية ، تر : بشير السباعي ، مكتبة الإسكندرية للنشر و التوزيع ، القاهرة ، ط1 ، 1993 ، ص 615 .

4- محمود حمد المشهداني ، سلوك رشيد رمضان ، " أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني 1518 – 1830 " ، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية ، مج 05 ، ع 16 ، جامعة الوادي 1434 – 2013 م ، ص 426 .

5- حنيفي هلايلي ، المرجع السابق ، ص 85 .

6- ناصر الدين سعيدوني ، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1519 – 1830 م) ، ، دار البصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط منقحة ، ص 105 .

وقد طال الجزائر عدة كوارث طبيعية أثرت على نمو عدد السكان ، والمتمثلة في الأمراض والأوبئة خاصة مرض الطاعون الذي أودى بحياة عشرات الآلاف من الأشخاص ، بالإضافة إلى مرض الكوليرا والجدري ، وحدوث أيضا المجاعات خاصة المجاعة التي وقعت في بايلك قسنطينة ، مما أدى ارتفاع أسعار الحبوب[1].

3-2- الوضع الثقافي :

غلب على الحياة الثقافية في الجزائر خلال الحكم العثماني الطابع الإسلامي[2] ، وهو ما أدى إلى انتشار العديد من المراكز الثقافية ، والتي تمثلت في المؤسسة الوقفية والمساجد والزوايا والمكتبات[3] ، والتي سنوردها كالآتي : المؤسسة الوقفية ، تتكفل هذه المؤسسة بتلبية متطلبات سكان الإيالة على اختلاف مستوياتهم سواء كانوا فقهاء أو معلمين أو طلبة حتى إذا كانوا فقراء ، وتكمن مهمة هذه المؤسسة في دفع مستحقات العاملين بالمساجد والزوايا[4] ، وأيضا المساجد فهي تعتبر منارة للعلم والحضارة ، و هو مكان للعبادة ومجمع المسلمين ومنشطهم ، و هو المركز الأساسي للحياة الدينية والعلمية والثقافية ، و هو قلب القرية والريف وروح الحي والمدينة حيث كانت تنتشر حوله المساكن والبيوت والكتاتيب ، وكان مقصد للأطفال من ذكور و إناث بغية تعليم القرآن الكريم والحديث الشريف ... الخ[5].

وتوجد الزوايا وتحمل هذه الأخيرة الصدارة بين المراكز الثقافية فهي تعمل على تثقيف المعوزين والفقراء من أبناء مدينة الجزائر المتعطشين للعلم والمعرفة[6].

1- أمين محرز ، المرجع السابق ، ص 172 .

2- عبد المنعم إبراهيم الجميعي ، الدولة العثمانية و المغرب العربي ،" موسوعة الثقافة التاريخية و الأثرية والحضارية ، التاريخ الحديث والمعاصر " ، دار الفكر العربية ، القاهرة ، د ط ، 2007 م ، ص 25 .

3- أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر ... ، المرجع السابق ، ص 227 .

4- أحمد مريوش ، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 م ، ط خ ، ص 46 .

5- أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر ... ، المرجع السابق ، ص 45 .

6- محمد بن ميمون الجزائري ، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية ، تق و تح : محمد بن عبد الكريم ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، ط2 ، 1981 م ، ص 58 .

و من أجل ذلك كان لكل مدينة كبيرة أو قرية صغيرة ولي من الأولياء الصالحين ، ولعل من أهم الزوايا التي كانت بالغرب الجزائري في العهد العثماني زاوية الرشيد و الزاوية القادرية بالقيطنة بمدينة معسكر ، وتعد هذه الزوايا أيضا ملجأ ومأوى للمجرمين الفارين من العقاب ، و توجد أيضا المدارس ، وهي الأمكنة المخصصة لإلقاء الدروس بها ، ولا توجد إلا ببعض المدن الرئيسية مثل : قسنطينة وبجاية ووهران وتلمسان التي وجدت بها مدرسة سيدي أبي مدين ، والتي درس فيها ابن خلدون ، ولعل من أبرز أهدافها هو تحفيظ القرآن الكريم إلى جانب تعليم مبادئ القراءة والكتابة[1] .

وهناك المكتبات العامة والخاصة ، وتحتوي على أشتات من المخطوطات في مختلف فنون الوقت ، فكانت هذه الأخيرة قبلة للطلبة و الأساتذة من جميع النواحي للمطالعة فيها خاصة المكتبات العامة التي كانت وقفا و حبسا على المساجد والزوايا ، وكانت هذه الأخيرة موزعة على التراب الجزائري حسب أهمية الأماكن لاسيما المدن مثال عاصمة الجزائر وقسنطينة وتلمسان ومازونة[2]، علما أن الكتب التي وجدت في هاته المكتبات كتبت عن طريق التأليف أو النسخ[3] .

وعليه يمكن القول أن المؤسسات التعليمية سواء كانت زوايا أو مساجد أو مدارس دورها التاريخي يكمن في نشر الثقافة العربية الإسلامية على الرغم من عدم تشجيع الدولة العثمانية لها ، فإن سكان الجزائر حملوا على عاتقهم النهوض بالمعرفة العلمية إلى الأمام ، وذلك بتخصيص أموال كبيرة من الأوقاف لبناء المؤسسات التعليمية وما إلى ذلك[4].

1- أبو راس الناصري ، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار ، تح: محمد بوركبة ، ج1، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف بتلمسان ، المطبعة الوطنية الرغاية ، ط1 ، 2012 ، ص ص 47 – 48 .

2- محمد بن ميمون ، المرجع السابق ، ص ص 59 – 60 .

3- محمود حمد المشهداني ، المرجع السابق ، ص 437 .

4- منصور درقاوي ، الموروث الثقافي العثماني بالجزائر ما بين القرنين (10- 13 هـ / 16 – 19 م) بين التأثير والتأثر ، مذكرة لنيل شهادة الماجيستر في التاريخ الحديث والمعاصر ، غير منشورة ، جامعة وهران 2014 – 2015 م ، ص 139 .

الفصل التمهيدي : الوضع العام في إيالتي الجزائر و تونس خلال القرن 18 م

المبحث الثاني: الوضع العام في إيالة تونس خلال القرن 18 م .

1_ الوضع السياسي .

2_الوضع الاقتصادي .

3– الوضع الاجتماعي والثقافي .

المبحث الثاني : الوضع العام في إيالة تونس خلال القرن 18 م :

1- الوضع السياسي :

بدأ القرن 18 م في تونس بتغير نظام الحكم ، والذي أدى إلى وصول أسرة جديدة إلى السلطة هي الأسرة الحسينية بعد أن اتفق علماء البلاد و أهل الحل والعقد في تونس على تنصيب حسين بن علي[1] بايا على البلاد بعد أحداث عصيبة مرت على تونس[2] ، خوفا من غزو خارجي يشنه عساكر داي الجزائر ، وتهديد داخلي بسبب انتشار موجة من الاضطرابات الداخلية ، امتلك حسين بن علي خبرة واسعة في تسيير البلاد وباشر مهاما عديدة بنفسه ، واستعان بالأعيان من ذوي الثراء يديرون أملاك البايلك[3] ، وقد عرفت البلاد التونسية في عهد الباي حسين بن علي استقرارا سياسيا و رخاءا اقتصاديا منذ توليه السلطة و إلى غاية سنة 1728 م ، أين ثار عليه ابن أخيه علي باشا ، الذي فر إلى الجزائر و أعلن الحرب عليه وانتهت بمقتل حسين بن علي بالقيروان سنة 1740 م، و انتصار علي باشا بفضل المساعدة التي لقيها من داي الجزائر[4] .

حكم علي باشا (1740 – 1756 م) البلاد بصرامة وانفرد بالحكم ، الأمر الذي أدى إلى قيام عدة ثورات داخلية عليه ، وكانت فترته فترة حروب بين أفراد الأسرة الحسينية ، وبتدخل دايات الجزائر في شؤون تونس تم القضاء على علي باشا بعد أن نصروه ، وأعادوا أبناء حسين بن علي للسلطة في تونس[5] .

1- **حسين بن علي** : مؤسس البيت الحسيني من أصل تركي من مدينة كندية بجزيرة كريت ، تدرج في عدة مناصب رفيعة في ظل البايات المراديين ، منها خزندار ، وأغا الصبايحية ، تمت له البيعة في 15 جويلية سنة 1705 م ، قتله ابن أخيه علي باشا الذي ثار عليه في سنة 1740 م ، ينظر : الصغير بن يوسف ، المشرع الملكي في سلطنة أولاد علي تركي ، تح: أحمد الطويلي ، ج1 ، المطبعة العصرية ، تونس، ط1 ، 1998 م ، ص ص 18 -26 ، وأيضا : حسن حسني عبد الوهاب ، تاريخ خلاصة تونس دار الكتب العربية الشرقية ، تونس ، ط3 ، 1993 م ، ص ص 125 – 126 .

2- أحمد بن أبي الضياف ، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، ج3 ،مر وتح : احمد الطويلي ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1979 م ، ص 103 .

3- محمد الهادي الشريف ، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال ، تع : محمد الشاوش و محمد عجينة ، دار سراس للنشر ، تونس ، ط3 ، 1993 م ، ص ص 77 – 80 .

4- شوقي عطا الله الجمل ، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط1 ، 1977 م ، ص 110 .

5- نفسه ، ص 111 .

و بمساعدة داي الجزائر استرجع ابنا حسين بن علي عرشهم و يبدأ حكمهم في تونس ، واعترفا بسيادة داي الجزائر عليهم مستأنفين دفع الإتاوة السنوية التي يقدرها داي الجزائر ، ومضت سنوات قبل أن يستتب الأمن ، ضعفت الدولة الحسينية فيها ، و أصبحت هيبتها متدنية[1] .

ومع بداية ولاية علي باي ابن حسين (1759 – 1782 م)[2] بدأت الدولة الحسينية تعرف نوعا من الاستقرار خاصة في الفترة الممتدة بين سنتي (1765- 1776 م) ، فقد كانت عشرية رخاء ووفرة إنتاج ، وكانت فترة استقرار سياسي ونمو ديمغرافي كبير في المدن والأرياف[3] .

لقد كان عهد علي باي ابن حسين من أحسن الفترات استقرارا ورخاء للإيالة التونسية منذ عهد أبيه حسين بن علي ، كما أنه قبل أن يتوفى علي باي عمل على تسهيل الأمور لابنه حمودة باشا ، فقد سوى قضية توريث الحكم في أيام حياته ، فضمن له بداية من الاستقرار السياسي ، كما ترك له وضعا اقتصاديا مريحا[4] .

2- الوضع الاقتصادي :

تمثلت الحياة الاقتصادية بما يقوم به سكان الإيالة التونسية من أعمال الزراعة والصناعة والتجارة ، وعليه يمكن القول أن تونس تعتمد أساسا على الزراعة خاصة المتعلقة بإنتاج الحبوب التي تعد المورد الرئيسي لغالبية سكان

1- عبد الحميد هنية ، تونس العثمانية بناء الدولة والمجال من القرن السادس عشر إلى منتصف القرن التاسع عشر ، منشورات تبر الزمان ، تونس ، 2016 م ، ص 183 .

2- ولد علي باي سنة 1712 م ، والده حسين بن علي وأمه جنوية ، نشأ في بلاط باردو و تربى تربية علمية وعسكرية ، كان يحسن اللغة الإيطالية إلى جانب العربية ، تزوج عدة زيجات و أنجب عدة أولاد كان من أشهرهم حمودة باشا ، فر إلى الجزائر عند مقتل أبيه في سنة 1740 م ، وقاد إلى جانب أخيه محمد الرشيد حملتين ضد علي باشا بمساعدة داي الجزائر سنوات 1746 م و 1756 م ، تولى السلطة بعد وفاة أخيه الرشيد و بقي في الحكم إلى أن توفي سنة 1782 م ، من أشهر وزرائه حمودة بن عبد العزيز ، ومصطفى خوجة ، ينظر : سلوى هويدي ، علي باي وإدارته للأزمات (1759 – 1782 م) ، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ، ع147 ، تونس ، 2012 ، ص ص 403 – 425 .

3- عبد الحميد هنية ، المرجع السابق ، ص 187 .

4- الشافعي درويش ، العلاقات السياسية والتجارية بين تونس ودول غرب أوربا المتوسطية خلال القرن 18 م ، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث ، عمار بن خروف ، جامعة غرداية ، 2015 – 2016 م ، ص ص 53-54.

هاته الإيالة ، ولأجل هذا يتدخل البايلك بتوفير هاته الحبوب ومراقبة الأسعار ، إضافة إلى إنتاج مدينة تونس أنواعا من الخضر و الفواكه تعود بالفائدة على سكان الإيالة[1] .

أما من ناحية الصناعة الحرفية فقد لعب الأندلسيون دورا في تهذيبها ، فاشتهرت تونس بصناعة الشواشي وكان في هاته الأثناء لكل حرفة أمين ، وعرفت تونس صناعة العطور ، وكان إنتاج النسيج في سوسة .

أما التجارة فكانت متطورة لاسيما المتعلقة بأعمال القرصنة البحرية وما كانت تدره هاته الأخيرة من أرباح على الإيالة فيما يخص غنائم البحر[2] ، كما كان لتونس صلات تجارية بأواسط إفريقيا ، ولأجل ذلك استخدمت موانئها من أجل تصدير بضائع و منتوجات تلك المنطقة إلى أوربا[3] .

و في هذا الصدد يمكن اعتبار أن الإيالة كان نشاطها الأول هو الزراعة لما تدره عليها من محاصيل زراعية خاصة الحبوب والخضر والفواكه ، وما إلى ذلك ، و على الرغم من بدائية الوسائل المعتمدة إلا أن النشاطات الأخرى لم تحضى بنفس الأهمية ما عدا القرصنة البحرية التي عرفت انتعاشا وعادت بالربح على خزينة تونس[4].

3- الوضع الاجتماعي والثقافي :

3-1- الوضع الاجتماعي :

عرفت تونس في القرن 18 م مزيج من الفئات الاجتماعية ، وفي مقدمة هاته الفئات نجد الأتراك ، والذي بلغ عددهم أربعة آلاف من الجنود الإنكشارية ، واندمجت هذه الفئة مع السكان المحليين ، وهناك المماليك و الأعلاج

1- عبد المنعم إبراهيم الجميعي ، المرجع السابق ، ص 28 .

2- محمد بن خوجة ، صفحات من تاريخ تونس ، تح : حمادي الساحلي ، الجيلالي بن الحاج يحي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1 ، 1986 م ، ص 226 .

3- يسري الجوهري ، شمال إفريقية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب فرع الإسكندرية ، مصر ، ط6 ، 1980 م ، ص 142 .

4- كحلي زبيدة ، لزعر كنزة ، العلاقات الجزائرية التونسية و المغربية من القرن 17 إلى القرن 19 م (1671 – 1848 م) ، مذكرة ماستر في التاريخ الحديث و المعاصر ، طيبي مهدية ، جامعة خميس مليانة ، 2017-2018 م ، ص 30 .

الذي توالى دخولهم في إيالة تونس أين تقلدوا أسمى المناصب[1] ، إضافة إلى توافد الأندلسيين منذ سنة 1607 م ، حيث قدم عدد كبير منهم إلى إيالة تونس ، وهناك أيضا العبيد ، وهم نوعان : السود القادمين من بلاد ما وراء الصحراء والبيض ومصدرهم عمليات الأسر، ونجد أيضا اليهود[2].

لم تسلم تونس من الأمراض و الأوبئة ، راح ضحيتها العديد من التونسيين إضافة إلى انتشار القحط لاسيما في المناطق الصحراوية[3] .

3-2- الوضع الثقافي :

أسهم الأندلسيون بشكل كبير في العمران ، حيث أسسوا العديد من الأماكن وفي مقدمتها تستور أو سليمان ذات الطابع الأندلسي[4] ، وما يمكن ملاحظته هو اهتمام حكام تونس بالعمران ، بالإضافة إلى كثرة عدد العلماء خاصة بمدينة القيروان وصفاقس ، ولا ننسى أن بايات تونس كان لهم دور بارز في حفظ مال الوقف الذي كانت عائداته ترجع إلى إنشاء المراكز العلمية ، ولهذا انتشرت في تونس الكتاتيب التي كانت تلقن التلاميذ العلوم الدينية و الأصول والنحو[5] .

وعليه يمكن القول أن الحياة الثقافية في تونس اقتصرت على العلوم وخاصة الدينية منها المعتمدة أساسا على النقل ، وباختصار ما يمكن أن نستنتجه هو أن البلاد التونسية شهدت انطلاقة واضحة في المجال الثقافي ، غير أنه بقي محصورا في الحواضر فقط[6] .

1- حمدان بن عثمان خوجة ، المصدر السابق ، ص 226 .

2- كوثر العايب ، العلاقات الجزائرية التونسية خلال عهد الدايات 1711 – 1830 م ، مذكرة ماجيستر في التاريخ الحديث و المعاصر ، محمد السعيد عقيب ، جامعة الوادي ، 2013 – 2014 م ، ص 25 .

3- الهادي التيمومي ، المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي ، بيت الحكمة قرطاج ، تونس، ط1 ، 1999 م ، ص ص 184 -187 .

4- محمد الهادي الشريف ، ما يجب أن نعرف عن تاريخ تونس ، تر : محمد الشاوش ، محمد عجينة ، دار سرار للنشر ، تونس، ط3 ، ص ص 75 .

5- روبير مانتران ، المرجع السابق ، ص 60 .

6- محمد الهادي الشريف ، ما يجب أن تعرف ... ، المرجع السابق ، ص 77 .

نستخلص من خلال ما تم عرضه أن الأوضاع العامة التي عرفتها الإيالتين في القرن 18 م أنه طرأ عليها عدة مستجدات ولعل أبرزها أن إيالة الجزائر عرفت تغيرا في ارتباطها بالدولة العثمانية في عهد الدايات من التبعية إلى الاستقلالية في اتخاذ القرارات وعقد المعاهدات نظرا للتدخلات الأوربية ، بالإضافة إلى استقطابها لعدة فئات من المجتمع ، أما من الناحية الثقافية فقد اقتصرت على المؤسسات الدينية كالمساجد والزوايا ... و أهم من هذا ظل اقتصادها مبني على الزراعة مقابل تراجع مداخيل الغزو البحري ، وعرفت تونس في بداية هذا القرن الصراع على الحكم بين مختلف الأطراف وهذا ما أدى إلى وصول نظام و أسرة جديدة إلى الحكم ، وهي الأسرة الحسينية بقيادة حسين بن علي ، و تعيش صراعا على الحكم بين علي باشا وابني حسين بن علي ودور دايات الجزائر في هذا الصراع لإبقاء السيطرة الجزائرية على بايات تونس ، وشهدت هذه الأخيرة اقتصاد مماثل لاقتصاد إيالة الجزائر باعتبارهما إيالتين تابعتين للدولة العثمانية ، أما من الناحية الاجتماعية والثقافية فقد اتسمت ببروز فئات اجتماعية ساهمت بشكل كبير في تحقيق الازدهار و تطور هاته البلاد من خلال ما أنجزته من منشآت عمرانية ومراكز علمية

وعليه يمكن القول أن الإيالتين وبحكم وقوعهم في مكان واحد متجاورين كبلدان للمغرب الإسلامي ووجود صلات تاريخية تحت راية الحكم العثماني مع سيادة وسيطرة لدايات الجزائر على بايات تونس منذ 1756 م و كان لابد أن تكون بينهم علاقات سواء كانت ودية أو عدائية و هو ما يتجلى في نهاية القرن 18 م مع اعتلاء حمودة باشا ابن علي ابن حسين إلى سدة الحكم .

الفصل الأول

العلاقات السياسية بين إيالتي الجزائر وتونس في عهد حمودة باشا

(1782 –1814)

المبحث الأول: العلاقات السياسية بين الإيالتين ما بين (1782 – 1800 م)

المبحث الثاني: العلاقات السياسية بين الإيالتين ما بين (1800 – 1814 م)

الفصل الأول : العلاقات السياسية بين الإيالتين في عهد حمودة باشا (1782 –1814 م

المبحث الأول: العلاقات السياسية بين الإيالتين (1782 – 1800 م)

1– أسباب ودوافع التوتر بين الإيالتين .

1–1 – دوافع إقليمية .

1–2 – دوافع سياسية .

1–3 – دوافع اقتصادية .

2– العلاقة بين حمودة باشا و باي قسنطينة (1783 –1787) .

2–1 – اعتلاء حمودة باشا كرسي العرش في تونس .

2–2 – المناوشات بين حمودة باشا وصالح باي .

3– الهدوء النسبي بين الإيالتين (1787 – 1800 م) .

تمهيد :

شهدت الفترة من منتصف القرن 18 م و إلى غاية نهايته، هيمنة وسيطرة جزائرية على تونس ، حيث اتبع دايات الجزائر سياسة خارجية تقوم على حسن الجوار مقابل التزام تونس بالشروط المفروضة عليها من طرف الجزائر منذ سنة 1756 م ، فكان النزاع هو الطابع الغالب على العلاقات بين البلدين منذ تنصيب داي الجزائر بابا علي بوصبع لأبناء حسين بن علي على عرش أجدادهم .

فالعلاقات بين الإيالتين تراوحت بين السلم والطيبة والتعاون تارة والعداء والحروب والصراع تارة أخرى .

إن هذا التوتر و انعدام التوازن والاستمرارية في نوعية العلاقات الغير ثابتة سادت في العهود الأولى من القرن 19 م ، وهي لا تعبر في الحقيقة عن إرادة الشعوب ، بل ترجع بالأساس إلى إرادة السلطة الحاكمة في البلدين ، ومنه كيف يمكن حصر العلاقات السياسية التي كانت قائمة بين الإيالتين في أواخر القرن 18 م ، وبداية القرن 19 م ، أي في فترة حكم حمودة باشا باي تونس ؟

المبحث الأول : العلاقات السياسية بين الإيالتين (1782 – 1800 م)

قبل أن نتطرق إلى طبيعة العلاقات بين الإيالتين الجزائرية والتونسية في عهد حمودة باشا لابد من الحديث عن الأسباب التي ساهمت في التوتر بين الطرفين .

1– أسباب و دوافع التوتر بين الإيالتين :

1–1 : دوافع إقليمية :

تعتبر قضية الحدود الفاصلة بين الجزائر وتونس من أهم العوامل التي أثرت في العلاقات الرسمية والشعبية بين الإيالتين في العهد العثماني[1] ، فمنذ انضمام الإيالة التونسية إلى الجزائر و تحريرها من الإسبان أخذت على عاتقها التخلص من تبعيتها للجزائر ، فكان تعيين باشاواتها يتم عن طريق بايلربايات الجزائر ، و رغم انفصالها عن الجزائر سنة 1590 م ، بشكل نهائي ، إلا أن الجزائريون ظلوا ينتظرون الفرصة المواتية لاسترجاعها من جديد ، وبهذا أصبحت تونس تعتبر نفسها مستقلة عن الجزائر ، وتابعة رسميا للدولة العثمانية ، و لا حق للجزائر في التدخل في شؤونها[2] .

غير أنه اتضح في الأخير أن بايات تونس كان لهم طمع في ضم إقليم قسنطينة منذ العهد الحفصي ، ولهذا شنت العديد من الحملات على الجزائر ، لذا نجد أن من أسباب النزاع كان مشكل الحدود كونه يعتبر من أهم مظاهر السيادة داخل أي بلد كان ، فنجد القبائل القريبة من الحدود تنشب صراعات بينهم حول أراضي الرعي ، ومنه كانت من الأسباب التي أدت إلى الخلاف بين الإيالتين ، فالقبائل القائمة على الحدود كانت هي الأخرى موضع خلاف إذ كانت تفر من المطالب المالية في أغلب الأحيان ، فيهاجمها باي تونس بالاتفاق مع داي الجزائر ، فالحدود بين الإيالتين لم تعرف الثبات والاستقرار كونها محددة بشريا أكثر منها سياسيا ، بالإضافة إلى أن ولاء القبائل لم يكن ثابت لنظام حكم واحد ، وهذا ما منع رسم الحدود بينهما[3] .

1– احميدة عميراوي ، علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني و بداية الاحتلال الفرنسي ، دار البعث للطبع و الشركة الوطنية للنشر ، الجزائر ،2012 م ، ص 17.

2– يحي بوعزيز ، الموجز في تاريخ الجزائر ، ج2 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ط 2 ، 2002 ، ص 51 .

3– رشاد الإمام ، سياسة حمودة باشا في تونس 1782 – 1814 م ، منشورات الجمعية التونسية ، تونس ، 1980 م ، ص 387 .

1–2: دوافع سياسية :

ومن أهم دوافع التوتر السياسي بين الإيالتين ، والتي دفعت الجزائر إلى شن هجومها على تونس هو أن هذه الأخيرة عملت على زعزعة الأمن و الإستقرار في الجزائر وذلك لما ساندت بعض الحركات للقيام بتمردات داخل البلاد الجزائرية مثل ابن الأحرش .

و كذلك من الأسباب هو تدخل دايات الجزائر في الشؤون الداخلية لتونس من خلال اختيار الحكام دون الرجوع إلى الكفاءة و ذلك عن طريق قبض الرشاوي ، وفي هذا الصدد يقول حمدان خوجة : " أن كل إنسان يريد التخلي عن سمعته ليجمع المال ويلعب الأدوار ، ما عليه إلا أن يقدم الهدايا لأهم الشخصيات في بلاط الجزائر ليعين وكيلا على تونس ، و بأبسط الأسباب " ، هذا الخراب زاد في الخلاف بين الإيالتين[1] .

إن التدخلات الجزائرية في شؤون تونس كانت بهدف ضمان مساندة حكام تونس لها[2] ، ولم تعمل على محاولة ضم التراب التونسي إليها ، لذلك احترمت أملاكها مع إبرام اتفاقيات تضمن امتيازات معتبرة للجزائريين رغم انتصارها في عدة معارك ، بالإضافة إلى أن الدول الأوربية تدخلت لتصعيد الصراع بين الإيالتين ، وذلك بتحريض تونس على الجزائر منها : هولندا وانجلترا لتحالف الجزائر مع فرنسا ، مما زاد الأمور سوءا في مسار العلاقات بين البلدين[3] .

1–3: دوافع اقتصادية :

كانت الجزائر عندما تعين حليف لها على الحكم التونسي تقيده بشروط ، وتجبره على أدائها ، و يحدد أحمد الشريف الزهار أن القيمة التي يدفعها باي تونس تتراوح بقوله : " ... مائتين وخمسين جرة زيت ، وخمسون

1- حمدان بن عثمان خوجة ، المصدر السابق ، ص 92 .

2- وليم سبنسر ، المرجع السابق ، ص 36

3- يحي بوعزيز ، الموجز في ... ، المرجع السابق ، ص 51 .

جرة من السمن ، وعشرون جرة من الصابون المائع ، و من الهدايا لعظماء الدولة منها الشواشي ، سروج مطرزة وبلاغي ، وكذلك أقمشة من الحرير الرفيع ، وعطر الورد ، وغير ذلك ... ، ويبلغ مقدار الجميع نحو خمسين ألف دورو "[1] ، وكان الأسطول الجزائري بقيادة الرايس حميدو يضغط على الإيالة التونسية بالالتزام بالدفع للجزائر ، واستمر يعمل ضد تونس حتى التزم حمودة باشا بإرسال كمية من الزيت سنويا لإنارة مصابيح المساجد والزوايا بالجزائر[2] .

وبمجرد انشغال الجزائر بمشاكلها الداخلية يستغل حكام تونس الظروف ويتمردوا عن دفع ما عليهم من إتاوات مثلما فعل حمودة باشا الذي رفض الدفع لديوان الجزائر قائلا : " ... لقد كان أجدادنا في السابق يوجهون إليكم الهدايا ، إنهم مجانين ، ولا يفكرون ، أما نحن فلسنا على شاكلتهم ، وعليه ، فسوف لن نرسل لكم شيئا ، و إن كانت حبة قمح " ، وهذا ما جعل الجزائر تقوم بتأديب المتمردين[3].

والجدير بالذكر أن هذا التوتر كان قد أثر على التواصل التجاري والبشري بين البلدين ، كما أنه وبعد أن سيطر اليهوديين بكري وبوشناق على تجارة الجزائر ، توترت وتدهورت الأوضاع الاقتصادية بين البلدين المجاورين، حيث أصبحوا يسيطرون على التبادل التجاري مع الدول الأوربية خاصة فرنسا ، وقلة مع الدول العربية[4] .

1- أحمد الشريف الزهار ، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر ، تح : أحمد توفيق المدني ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1980 م ، ص 193 .

2- أحمد توفيق المدني ، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766 – 1791 م ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1986 م ، ص 79 .

3- محمد صالح العنتري ، فريدة المنسية في حالة دخول الترك بلد قسنطينة و استيلائهم على أوطانها (تاريخ قسنطينة) ، تر : يحي بوعزيز ، ديوانالمطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2005 ، ص 48 .

4- صالح فركوس ، المرجع السابق ، ص 125 .

2– العلاقة بين حمودة باشا وباي قسنطينة (1783 – 1787 م) :

2–1 : اعتلاء حمودة باشا كرسي العرش في تونس :

بعد وفاة علي باي في 26 ماي 1782 م ترك الحكم لابنه حمودة باشا[1] الذي جددت له البيعة مباشرة بعد موت والده[2] .

وقد تم التطرق أن إيالة تونس تميزت بنظام وراثي أرسى قواعده حسين ابن علي ، الذي سمته المصادر التاريخية بأب الأسرة الحسينية ، هذا الأخير الذي توفي تاركا ثلاثة أولاد ، وقد تم التعرف للظروف التي حكموا فيها ، حيث بعد وفاة محمد باي عم حمودة باشا الذي بدوره ترك ولدين لم يبلغا سن الرشد ، وبالتالي يصعب عليهما تسيير شؤون الإيالة ، فتولى زمام الأمر عمهما علي باي ، ريثما يبلغا سن الرشد ، لكن هذا الأخير شيئا فشيئا أشرك ابنه حمودة باشا في شؤون الحكم ، وأوصى أن يصبح بايا من بعده[3] ، وذلك نظرا للخدمات الكثيرة التي قدمها حمودة باشا لشعبه ، فقد اهتم بالجيش حتى قيل عنه أنه تونسه ، أي جعل أغلبية جنوده من العنصر المحلي التونسي ، وبدأ يستغني عن العنصر التركي[4] ، كما تمكن من تقليص التدخل الجزائري مع صالح باي

1- **حمودة باشا** : ولد ليلة السبت 18 ربيع الثاني 1173 هـ / 08 ديسمبر 1759 م ، وكان له أخوان وخمس أخوات ،وقد أولى والده علي باشا اهتماما كبيرا في تربيته فحفظ ما تيسر من القرآن الكريم ، تتلمذ على يد كل من الإمام الفقيه " أبو محمد حمودة باكير " فأخذ عنه علم الكلام وفقه المذهب الحنفي ، تميز حمودة باشا بعدة خصال ساهمت في تثبيت حكمه ممثلة في قوة حزمه و غيرته على الوطن ، لذا سعى لبذل كل الجهود حتى يحسن من وضع الإيالة التونسية الداخلية والخارجية ، تولى الحكم بطريقة سلسة بعد وفاة أبيه علي باشا في 26 ماي 1782 م ، بالرغم من التخوف الذي ساد الإيالة ، وبدأ العمل على تصفية الأجواء خاصة مع ابن عمه محمود باي ، صاحب الحق الشرعي ، و قد أحسن حمودة باشا التدبير بإتباعه سياسة أبيه رغم صغر سنه ، وتمكن من مباشرة حكمه الذي دام مدة ثلاث وثلاثين سنة ، توفي حمودة باشا في سنة 1814 م ، وقد ذكر أحمد بن أبي الضياف السبب الحقيقي لوفاته هو مرض القلب الذي عانى منه طيلة فترة حكمه دون أن يعلم أحد ، ينظر : كمال مايدي ، علاقات تونس مع دول أوربا الغربية المتوسطية وتأثير البحرية فيها في عهد حمودة باشا من 1782 إلى 1814 م ، مذكرة لنيل شهادة الماجيستر في التاريخ الحديث ، عمار بن خروف ، جامعة غرداية ، الجزائر ، 2011 –2012 م ، ص ص 36 –42 .

2- Thomas . M. Marggill,Nouveau voyage a Tunis , paris , 1811 , p.30

3- Ernest Mercier , Histoire de Constantine , Marle et F .Biron .Imprimeurs – éditeurs , Constantine , 1903 , p. 277 .

4- رشاد الإمام ، المرجع السابق ، ص 111 .

قسنطينة ، وبالتالي تلاشى السلم الذي حافظ عليه والده علي باي مدة حكمه[1] .

2–2 : المناوشات بين حمودة باشا وصالح باي[2] :

حدثت أول مناوشة بين الإيالتين في عهد حمودة باشا بسبب الحادثة التي وقعت بين "مريانو ستنكا m. stinca " ، وبين مبعوث إيالة الجزائر إلى تونس حيث أظهروا اشمئزازا من أنواع الأكل التي قدمت لهم ، ولما سمع الباي حمودة بما حدث غضب كثيرا[3] ، وقرر أن يمتنع منذ ذلك الحين عن ارسال الهدية " الضريبة السنوية " إلى إيالة الجزائر ، وكان ذلك بداية ما يعرف بالقطيعة[4] ، وبالرغم من الشكاوي التي قدمها داي الجزائر محمد بن عثمان(1766 – 1791 م) لدى الباب العالي وطلب التوسط لإقناع حمودة باشا على ضرورة العدول عن رأيه إلا أنه رفض ، وقال : " انقطاع النذر بوفاة الناذر "[5].

كما قال للمبعوث الذي أرسله الباب العالي : " إن أهل المملكة أبوا ذلك ، وأنفوا منه ، و رأوه ضريبة ، ونجمعهم لتسمع الجواب " ، وعندما جمع في قصره وزرائه ، و أعيان الجند طلب منهم العدول عن قطع المدد عن الجزائر فقالوا له : " لا يقع ذلك أبدا ، و إن كان لك زيت يخصك فافعل به ما شئت ، أما هذا الزيت

1- Ernest Mercier , Histoire de Constantine , Op .cit , p.277 .

2- **صالح باي** :ولد صالح باي في مدينة أزمير بتركيا سنة 1137 هـ / 1739 م ، من أب تركي يدعى مصطفى ، يتنمي إلى أسرة متوسطة الحال ، عاش سنواته الأولى بصفة عادية إلى أن ناهز سنة السادسة عشر ، وكان ذلك سنة 1755 م تسبب في مقتل احد أقربائه ، فاضطرته الظروف أن يهجر موطنه ، ويلتحق بالجزائر حتى يتفادى العقاب ، وقد عمل صالح باي في أول عهده بالجزائر في مقهى الأوجاق يساعد صاحب المقهى ، ولعله اضطر إلى هذا العمل نظرا لصغر سنه ، وعدم خبرته بالحياة وجهله بأوضاع البلاد ، و على كل فإن عمل كهذا رغم تواضعه إلا أنه سمح له بان يتعرف على واقع الجزائر ، ويطلع على طبيعة الحكم ، و أسلوب الإدارة السائد بالجزائر آنذاك فضلا عن أن هذا العمل كان سببا في تعرفه على بعض رجالات الاوجاق الذين لم يبخلوا بمساندته فيما بعد للحصول على إذن من مجلس الديوان يسمح له بالانخراط في فرقة الأوجاق ، و الالتحاق بعد ذلك بمحلة الشرق السنوية المتوجهة إلى قسنطينة قصد المساهمة في تعزيز الحامية التركية بها والمشاركة في جمع الضرائب من الأرياف ، ينظر : . Ernest Mercier , Histoire de Constantine , Op .cit , p.271

3- رشاد الإمام ، المرجع السابق ، 385 .

4- حسين خوجة ، ذيل البشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان ، تح و تق : طاهر المعموري ، الشركة التونسية لفنون الرسم ، تونس ، 1975 م ، ص 128 .

5- أحمد بن أبي الضياف ، المصدر السابق ، ص 99 .

فهو للبلاد ، و نظر لك فيه إلا بالمصلحة ، و أي مصلحة في إخراج شيء من بلادنا لقوم يرونه ضريبة علينا ، والسلطان أولى منا بإعانة المسلمين "[1] .

أسرع الباي حمودة إلى عقد الصلح بينه وبين البندقية ، نظرا للخلافات التي زادت حدتها بين الحكمين الجزائري والتونسي ، ويعود السبب المباشر في ذلك أن حسان الكبير ، والذي كلفه بالتوجه نحو قبائل الجهة الغربية من تونس لجمع الضرائب كالعادة ، انطلق هذا الأخير على رأس المحلة ، وأثناء القيام بعملية جمع الأموال من إحدى القبائل قرب جنوب تبسة ثارت و رفضت السيطرة و الخضوع للحكم التونسي ، ففرت إلى الحدود مستنجدة بحاكم قسنطينة ، وكان آنذاك على البايلك صالح باي ، في تلك الآونة لم يهتم الحاكم التونسي بشأن القبيلة الفارة إلى الجزائر ، فتناسى حمودة باشا الأمر نظرا لانهماكه في حل مشاكل خارجية[2].

بعد مرور أشهر قليلة ، وبالضبط في سنة 1783 م ، أرسل باي قسنطينة مندوب إلى حمودة باشا يطالبه بدفع تعويضات للقبيلة إياها بسبب ما تسبب فيه حسان الكبير من أضرار ، تضمنت الرسالة الموجهة إلى حمودة باشا الطلب بدفع مبلغ تعويضي قدره 40 ألف سكوين ، انبهر باي تونس بالطلب ، مما جعله يغضب ، فكتب يخبر الداي محمد بن عثمان ، كما حذره بما سيحدث في حالة مساندته لصالح باي ، وحسب روسو كان حمودة باشا يبحث دائما عن ذريعة تسمح له بإعلان الحرب ضد صالح باي ، خصوصا أنه انتهى من مشاكل ايطاليا ، وعقد الصلح[3] .

أصدر حمودة باشا أمرا بتحضير الجيش والتهيئة للحرب ضد الجزائر ، متخوفا في نفس الوقت من هجوم جزائري مفاجئ .

خرج حمودة باشا نحو منطقة الجريد على رأس جيش ليتفقد الأمور هناك في أفريل 1783 م[4] ، وتوجه

1- أحمد بن أبي الضياف ، المصدر السابق ، ص 99 .

2- Ernest Mercier , Histoire de Constantine , Op .cit , p.277 .

3- حصام صورية ، العلاقات بين إيالتي الجزائر وتونس خلال القرن الثامن عشر ، مذكرة لنيل شهادة الماجيستر في التاريخ الحديث والمعاصر ، عبد المجيد بن نعيمة ، جامعة وهران ، الجزائر ، 2012 – 2013 م ، ص 89 .

4- نفسه ، ص 90 .

نحو القبائل في الجهة الغربية من البلاد من أجل فرض سيطرته على من يحاول الخروج عن طاعته بسبب ما قامت به القبيلة في جنوب تبسة ، والتي كانت السبب في توتر العلاقة بينه وبين باي قسنطينة ، دامت تلك الحملة التفتيشية أربعة أشهر ، زادت حدة المناوشات بين الحكمين مما تسبب في إعادة التوترات السياسية بين الإيالتين ، و قد غضب حمودة باشا من التونسيين القاطنين بالحدود والذين قاموا باستضافة بعض الهاربين الجزائريين عندهم ، حتى لا يدفعوا ما عليهم من ضرائب أو تورطهم في مشاكل مع النظام الجمركي ، و ذكر روسو في هذا الصدد ، وهو يبدي جليا تحيزه لتونس عندما يقول أن الأوجاق الجزائرية " سرعان ما نسي ما حدث سنة 1783 م أثناء ترحيبه بالقبيلة التي فرت من عبء الضرائب ووقوف صالح باي إلى جانبها حيث لم يهدأ له بال حتى أرغم حمودة باشا على دفع مبلغ مالي كتعويض لتلك القبيلة "[1].

لم يتخاذل الداي محمد عثمان في رده على حمودة باشا الذي اشتكاه صالح ، لكنه لم يخف تحيزه لصالح باي ، وبالتالي اضطر حمودة باشا الخضوع للأمر الواقع والامتثال أمام بنود الرسالة ، وأهم ما نصت عليه هو دفع تعويض مالي قدره 25 ألف سكوين[2] في شهر جوان 1784 م للقبيلة التي تضررت ، ونذكر أن الظروف كانت صعبة في إيالة تونس من جراء الوباء الذي تسبب في خسائر بشرية ومادية ، ودام تقريبا سنة كاملة ، حيث قال عنه المؤرخ التونسي صباغ : " لم تعرف الإيالة وباءا بخطورته منذ سنة 1705 م ، وقال حتى استغرب له الملاحظون ، وأيضا أسباب أخرى لهذه الخلافات بين الحكمين كاتهام صالح باي لحمودة باشا بالتمرد ، وعدم دفع ما عليه من ضرائب سنوية فرضت سنة 1756 م حينما ساعد الجيش الجزائري أبناء حسين بن علي على استرجاع حكمهم وتحريضه لبعض القبائل التابعة للحكم الجزائري بعدم دفع الأموال لأن ذلك يعد ظلما[3] .

و ما يجب الإشارة إليه أنه في تلك الفترة لجأ إلى الجزائر منافسا لحمودة باشا ، وهو الأمير حسين باشا الوريث الشرعي لمحمد باي ، ويعتبر عم حمودة باشا ، ومرة أخرى تستغل الجزائر الصراع على الحكم التونسي

1- حصام صورية ، المرجع السابق ، ص 90 .

2- السكين او السكوين عملة فينسية (بندقية) تساوي 2 بيستر و 6 ريال ، ينظر : Laugier de tassy , histoire du royaume d'alger un diplomate français à Alger en 1724 , Ed , loysel , Normandie , p 150

3- حصام صورية ، المرجع السابق ، ص 91 .

فرحبت بالأمير بغية الانتقام من حمودة[1] .

لم يكن حمودة باشا يخشى حكام الجزائر بل تجنبا لتشتيت قواته وخراب بلده ، ولم يكن باستطاعته مواجهة قوتين ، القوة الجزائرية و القوات الإيطالية[2] ، فإذا تم التركيز قليلا والتمعن في دراسة الموضوع بطريقة موضوعية ، وبدون أي تحيز مثلما فعل معظم المؤرخون نجد أن أغلب الأسباب المباشرة في ظهور الخلافات بين حمودة باشا وصالح باي تعود إلى القبائل القاطنة في الحدود ، والتي تفر إلى الجهتين بسبب ارتفاع نسبة الضرائب ، أو الخلافات الشخصية بين الحكام ، ففي كل مرة كان حمودة باشا يشتري السلم من الجزائر ، و بالخصوص سنة 1787 م ، لأنه كان يخشى دائما الهجوم الإيطالي[3] .

3– الهدوء النسبي بين الإيالتين (1787 – 1800 م) :

استمر تدخل دايات الجزائر في الشؤون الداخلية لتونس ، وتسبب ذلك في نتائج وخيمة ، وأثر بشكل كبير على حسن العلاقات الجزائرية التونسية[4]، وهو الأمر الذي لم يتقبله بايات تونس ، ورفضوا أن يكونوا أتباعا لحكام الجزائر الذين كانوا سببا في وضعهم في سدة الحكم بعد تخليصهم من الاحتلال الإسباني[5]،

1- حصام صورية ، المرجع السابق ، ص 91 .

2- الحرب مع البندقية و كان سببها أن تجارا تونسيين اكتروا سفينة من بحارة البندقية في سبيل حمل بضائعهم من الإسكندرية إلى صفاقص ، وفي طريقهم عرج بهم المركب إلى جزيرة مالطا وعند نزولهم قبض عليهم وسجنوا بتهمة حملهم لوباء الطاعون ثم حرقت كل بضائعهم ، وبعد إطلاق سراحهم رفعوا أمرهم إلى حمودة باشا ، فطلب من نائب جمهورية البندقية تغريم ماضاع للتجار وفق القانون التجاري لكن بعد رفض هذا الأخير أعلن حمودة باشاالحرب سنة 1785 م ، وجهز المراكب الحربية ، فتقدم أسطول البندقية ورمى كل من مدينتي سوسة وصفاقص وحلق الوادي لكن بدون جدوى ، وفي الأخير رضيت البندقية بدفع الغرامة وانعقد الصلح بين تونس والبندقية ، ينظر : حسن حسني عبد الوهاب ، المرجع السابق ، ص 188 م .

3- Eugène Plantet, Correspondance des Beys de Tunis e des consulte de France avec cour de France (1577 – 1830) , tome 2 , Félixalcane , paris , 1894 , p.110.

4- أبو القاسم سعد الله ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ، ج3 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط3 ، 1996 م ، ص 321 .

5- أحمد المبارك ، تاريخ حاضرة قسنطينة ، تص و تع : نور الدين عبد القادر ، المطبعة الرسمية ، منشورات المدرسة العلمية للدراسات العربية ، الجزائر ، 1952 م ، ص 48 .

والتبعية يجب أن تكون مباشرة مع الباب العالي ، وليس مع الجزائر[1] .

ومما زاد الأمور تعقيدا في عهد حمودة باشا باي تونس تلك الوصية التي تركها له والده ، وأكد له فيها على ضرورة المحافظة على العلاقات الودية مع إيالة الجزائر ، وقد عبر له عن ذلك في قوله : " العشر والخراج الذي تقبضه ، أعط بعضه للجزائر ، وبعضه لمصاريف المملكة ، وبعضه لتعيش به ، و إياك أن تجعلهم أعداء "[2].

عاش حمودة باشا لمدة طويلة بين الأمرين ، بين الوصية التي أوصاه بها الأب ، وبين رغبة حمودة في التخلص من الضريبة السنوية التي كانت تقدم لإيالة الجزائر ، ونظرا لقوة هذه الأخيرة ومكانتها في البحر المتوسط ، فقد كانت أمور إيالة تونس تحت نظر جارتها الجزائر ، وهذا لم يكن يحتمله حمودة باشا ، وكان يعتبره تدخلا في شؤونه الداخلية ، وهذا ما عبر عنه : ابن أبي الضياف بقوله : " ولما توفي علي باي ، واستقل ابنه الباي أبو محمد حمودة باشا ، أرادوا استبداء الأمر معه من حيث انتهى أبوه ، ولم يكن من أخلاقه احتمال الضيم ... فعزم على حربهم ... والتفت إلى تحصين البلاد "[3] .

وللقضاء على تدخل حكام الجزائر كما كان يزعم حمودة باشا والاستعداد لخوض حرب ضدهم ، قام الباي ببناء مركز للتجسس على أحوال الجزائريين في سانية المرناقية ، والمعروفة بـ " القبة الحمراء " ، حيث كان يستقبل فيه جواسيسه كل عشية ليطلعونه عن جديد الأخبار[4] .

و في نفس الوقت كان حمودة باشا يحاول أن يقوم بالتجسس على وكلاء إيالة الجزائر في تونس ، فقد قام بمنح أحدهم جارية حسناء تبين فيما بعد أنها كانت جاسوسة لدى حمودة باشا ، إذ كانت تقوم باختلاس أوراق فيها مراسلاته مع إيالة الجزائر ، وتعطيهم لأحدهم يقوم بنسخها في الحين ، ثم تقوم بإرجاعها إلى مكانها ، وبذلك كان حمودة باشا يطلع على أسرار حكومة الجزائر[5] .

1- سفيان صغيري ، العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد الدايات في الجزائر (1671 – 1830 م) ، مذكرة لنيل شهادة الماجيستر في التاريخ الحديث والمعاصر ، حسينة حاميد ، جامعة باتنة ، الجزائر ، 2011 – 2012 م ، ص 96 .

2- احمد الشريف الزهار ، المصدر السابق ، ص 85 .

3- أحمد بن أبي الضياف ، المصدر السابق ، ص ص 51 -53 .

4- أبي عبد الله محمد الباجي المسعودي ، الخلاصة النقية في أمراء افريقية ، تق و تح : زينهم محمد ، عزب محمد ، دار الآفاق العربية للنشر والتوزيع ، تونس، ط 1 ، 2013 م ، ص 136 .

5- رشاد الإمام ، المرجع السابق ، ص 384 .

وقد تواصلت الاستفزازات من الجزائر ، فقد رست سفينة حربية جزائرية في ميناء تونس ، و أوقفت كل نشاط بالميناء ، وعطلت التجارة التونسية الخارجية لمدة شهرين ، و لم يتخذ حمودة باشا أي إجراء ضدها[1] .

لقد انتهج حمودة باشا سياسة الخضوع ، والتبعية لداي الجزائر في حين أنه كان يدبر في تأليف جيش عتيد مستوفي المعدات الحربية للهجوم على الجزائر[2] .

كان تأثير الجزائر واضحا على تونس في عقد المعاهدات مع الدول الأجنبية ، فقد امتنع حمودة باشا على الدخول في حلف مع بريطانيا و البرتغال ضد فرنسا ، إلا إذا وافق داي الجزائر ، فقد ظهر تأثير الجزائر على تونس في الاعتراف بعلم الجمهورية الفرنسية ذي الثلاث ألوان في سنة 1794 م ، وضغط الجزائر على تونس في سنة 1796 م لعقد اتفاقية مع الو م أ ، بالإضافة إلى مظاهر أخرى تدل على التبعية خلال الفترة (1794 – 1805 م) ، كإقامة دار للضيافة للوفود الجزائرية والتكفل بالحجيج ، والقراصنة الجزائريين[3] .

ويمكن حوصلة مجمل الظروف التي تسببت في حدوث هدنة بين الإيالتين أواخر القرن 18 م فيمايلي :

- مداومة حمودة باشا في دفع ما عليه من إتاوات سنوية للحكام الجزائريين ، و إن كان غير مقتنعا بذلك .
- انشغاله في إخماد الحرب مع ايطاليا إلى غاية سنة 1792 م[4] .
- من الجانب الجزائري ظهرت مشاكل داخلية شغلت باي قسنطينة عن تونس مثل ثورة الحنانشة سنة 1801 م[5] ، حيث توجهت فرقة عسكرية لإخماد الثورة ، لكنها انهزمت نظرا لقوة هذه القبيلة ،

و توجهت من جديد فرقة عسكرية ، لكن في هذه المرة كان على رأسها الباي إنجليز، الذي استغل الخلاف بين قبيلتي الحنانشة والحرار ، وأشعل لهيب الفتنة بينهما ، وخلال المعركة قتل زعيم الحنانشة أحمد بن بوعزيز[6] .

1- رشاد الإمام ، المرجع السابق ، ص ص 410 – 417 ، وأيضا حنيفي هلايلي ، المرجع السابق ، ص 51 .

2- حسن حسني عبد الوهاب ، المرجع السابق ، 131 .

3- رشاد الإمام ، المرجع السابق ، ص 420 .

4- حصام صورية ، المرجع السابق ، ص 92 .

5- Ernest Mercier , Histoire de Constantine , Op .cit , p.307 .

6- Ibid. p.307.

- تواجدت علاقة صداقة بين حمودة باشا و باي قسنطينة مصطفى إنجليز[1] ، وهذه النقطة تؤكد أن الحروب بين الإيالتين سببتها بالدرجة الأولى الخلافات الشخصية بين الحكام ، لكن ستتغير الأمور بعد أن يفر إنجليز باي إلى إيالة تونس بسبب خلافه مع داي الجزائر مصطفى باشا (1798 – 1805)[2]، هذا الأخير كان له ابنا ، واستغل نفوذ أبيه وتطاول في ظلمه و غطرسته للناس ، و لم يستطع والده وضع حد لذلك ، فأصدر الداي أمرا بإلقاء القبض على الباي إنجليز ، وابنه علي ، وحكم عليهما بالإعدام ، لكن بمساعدة البعض هربا إلى تونس أين وجدا الترحاب الكبير من طرف حمودة باشا[3] .
- انشغال الحكام الجزائريين بوهران ، حيث جندت كل القوى لتحريرها من الوجود الإسباني 1792 م .
- بعد فرار إنجليز باي إلى إيالة تونس ، جاء من بعده عثمان باي ابن محمد الكبير محرر وهران[4] ، وكان لا يهمه أمر تونس ، بل انشغل بتهدئة الأوضاع الداخلية كقضائه على قوتي النمامشة والحنانشة ، وإخضاعهما لولاء الحكم[5] .

وفي سنة 1795 م انتصر حمودة باشا على علي برغل في طرابلس ، وفي سنة 1799 م و تمكن من قتل عدوه ومنافسه الأمير يونس المسنود من طرف داي الجزائر ، ومنذ ذلك الحين أعلن حمودة باشا عن عدم تبعيته لداي الجزائر و بدأ يتنصل من الشروط المفروضة سابقا عليه[6].

1- **مصطفى انجليز** : حكم بايلك قسنطينة في الفترة بين (1798 –1803 م) وهو من أصل تركي ، يطلق عليه انجليز لأنه في شبابه أسرته سفينة انجليزية والتي أمضى بها 12 سنة ثم أطلق سراحه ،كانت ولايته لقسنطينة تشبه كثيرا ولاية صالح باي من حيث الرخاء و الازدهار ، اشتهر أحد أبنائه بالفسق و الفساد ، و إيذاء الناس ، و كان وراء عزله من منصبه ، فر إلى تونس و التجأ بحمودة باشا ، وتحول إلى أحد الأسباب التي أدت إلى اندلاع الحرب بين البلدين ، ينظر : العنتري ، المصدر السابق ، ص ص 87-88 .

2- صالح العنتري ، مجاعات قسنطينة ، تح و تق : رابح بونار ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1974 م ، ص 32 .

3- بأمر من الداي توجه قائد الجيش الحاج قويدر بن سحنون إلى قسنطينة و ألقى القبض على إنجليز و ابنه ، ينظر ، Ernest Mercier , Histoire de Constantine , Op .cit , p.307 .

4- عثمان باي ابن محمد الكبير باي وهران المسمى بالفاتح لأنه حررها من الأسبان ،كان عثمان بايا على وهران خلفا لأبيه لمدة 05 سنوات ، وفي سنة 1799 م ، عزل عن الحكم واستقر بالبليدة وتقرب من داي الجزائر ، من أصل كرغلي ومن أوصافه أنه كان طويل القامة ، بدين الجسم ، أسمر اللون ، عرف بشجاعته فجعله الداي بايا على قسنطينة سنة 1803 م ، قدم الكثير للبايلك ، حارب المتمردين (ابن الأحرش) ، توفي سنة 1804 م ، ينظر : صالح العنتري : مجاعات ... ، المصدر السابق ، ص 33 .

5- حصام صورية ، المرجع السابق ، ص 93 .

6- رشاد الإمام ، المرجع السابق ، ص 420 .

الفصل الأول : العلاقات السياسية بين الإيالتين في عهد حمودة باشا (1782 –1814 م

المبحث الثاني: العلاقات السياسية بين الإيالتين (1800 – 1814 م) .

1– علاقة حمودة باشا بابن الأحرش .

2– المواجهات البرية بين الإيالتين بداية القرن 19 م .

2–1 – أسباب اندلاعها .

2–2 – المواجهة البرية الأولى 1807 م .

2–3 – المواجهة البرية الثانية 1807 – 1808 م .

3– المواجهات البحرية بين الإيالتين .

3–1 – المواجهة البحرية الاولى 1811 م .

3–2 – المواجهة البحرية الثانية 1813 م

المبحث الثاني : العلاقات السياسية بين الإيالتين (1800 – 1814 م) :

1– علاقة حمودة باشا بثورة ابن الأحرش :

إن المتأمل في تاريخ تونس خلال هذه الفترة يدرك أتم الإدراك أن حكام تونس لن يرضوا بوضع بلدهم المهين ، ولم يكن ليطول أكثر مما سبق لأن الغضب والمطالبة بإلغاء الهيمنة أصبح ضرورة لابد منها ، وخاصة الباي التونسي الشاب حمودة باشا، فهو يرى هاته الالتزامات بمثابة إهانة لبلاده التي تتساوى مع حجم الإيالة الجزائرية ، وفي بداية القرن 19 م تدخل العلاقة بين الإيالتين في مرحلة أكثر خطورة من سابقتها، حيث سنرى أن تونس و حمودة باشا سيرفضون الالتزام الذي كان سابقيه يعهدونه لدايات الجزائر و نرى أن الجزائر ستواصل السعي لفرض نفسها من جديد ، مما يجعل العلاقات بين البلدين تعود إلى التوتر و القطيعة[1] .

وقد حاول حمودة باشا اغتنام فرصة تواجد حمدان خوجة في تونس بعد عودته من القسطنطينية بصحبة خاله سنة 1801 م ، واشتكى له من التجاوزات التي كان يقوم بها وكيلا الجزائر وقسنطينة في تونس[2] ، آملا منه أن يوصل شكاويه إلى داي الجزائر[3] .

ولقد كانت البدايات الأولى لحمودة باشا مع مطلع القرن 19 م ، أن يسعى إلى إشعال الفتنة بالإيالة

1- زهيرة سحابات ، الحضور الجزائري في إيالة تونس خلال العهد العثماني (1628 – 1830 م) ، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر ، عسال نور الدين ، جامعة سيدي بلعباس ، 2019 – 2020 ، ص 130 .

2- **الوكيل** :تاريخيا ارتبط تطور النظام القنصلي بتطور العلاقات التجارية بين الدول ، والذي كان سابقا مرتبط بالعلاقات السياسية والعسكرية فقط ، ولهذا وجد الوكيل الجزائري في تونس أيضا لتكون له تقريبا نفس مهام بما يسمى القنصل ، و هو موظف تعينه حكومة الجزائر في العهد العثماني بيكون نائبا عنها في إحدى الإيالات العثمانية أو المدن الأوربية ، ليسهر على خدمة مصالحها السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية ، ويسلم له من طرف الحكومة وثيقة بمثابة توكيل رسمي ، يذكر فيه تفاصيل الصلاحيات الموكلة إليه ، وتعتبر تلك الوثيقة بمثابة اعتماد رسمي للوكيل لدى سلطات البلد الموجود فيه ، ينظر : سيدي أحمد بن نعماني ، "وظيفة وكيل الجزائر لدى الدولة العثمانية وبعض إيالاتها من خلال بعض وثائق الرصيدين العثمانيين الموجودين في الجزائر" ، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية ، مج1 ، ع1 ، جامعة الجزائر ، جانفي 2013 ، ص 199 .

3- حمدان بن عثمان خوجة ، المصدر السابق ، ص 127 .

الجزائرية مستغلا بذلك المعارضين على الحكم التركي في الجزائر، فبعد عودة ابن الأحرش[1] من مصر نزل تونس وأكرمه حاكمها حمودة باشا الذي حاول توجيه نشاطه إلى الجزائر ، والانتفاع من طموحه[2] ، وحرضه على إشعال نار الثورة في بايلك قسنطينة حيث وسوس له قائلا : " ...إن رجلا مثلك شجاع أو كلام بهذا المعنى يجب أن يذهب إلى ملك الترك بالجزائر وينزعه من أيديهم ، ونحن نمدك بما يخصك والعرب يتبعونك لكثرة ما ظلمهم الأتراك ... "[3] ، وعلى هذا الأساس وعده بالمساعدة ، وعليه قام ابن الأحرش بزيارة المشرق لأداء فريضة الحج ثم عاد إلى المغرب الإسلامي وعرج على قسنطينة ، وبها دعا النسب الشريف ليحصل على تأييد القبائل لشرفه ، ما جعلهم يلتفون حوله ويتحققون معه في محاولة إقامة دولة له تمتد من قسنطينة لتشمل كل القطر الجزائري ، وبذلك يكون مشروعه هو إقامة دولته مغتنما أوضاع بايلك الشرق المتدهورة ، والتي كانت على عهد عثمان بن محمد باي ، والذي عرف عصره بعصر الاضطرابات لأنه لم يكن في مستوى المسؤولية المنوطة به لأن أخلاقه لم تكن حميدة[4] .

وفي نفس الوقت أغرى ابن الأحرش القبائل المتاخمة ، وأقنعهم بضرورة أخذ قسنطينة عن طريق الحرب وهذا لاحتوائها حسبه على الكنوز والثروات الموجودة بها ، وبعد كل هذه الإغراءات المقدمة من طرف ابن الأحرش وافق على إشعال نار الفتنة بنواحي قسنطينة ، و هذا سنة 1803 م ، حيث هدد مدينة قسنطينة قاعدة بايلك الشرق وكاد يحتلها سنة 1804 م ، وأدت حملته إلى رد فعل قوي من قبل باي قسنطينة الباي عثمان[5] ، الذي راسل الداي الجزائري وأخبره بما يحدث داخل بايلك قسنطينة ومن تصرفات ابن الأحرش غير المقبولة ، ولقد واجبه في ذلك الداي ، وأرسل معه أربع سفن إلى مرسى الزيتون من أجل القضاء على ابن الأحرش لكنه فشل

1- أحمد الشريف الزهار ، المصدر السابق ، ص 85 .

2- **ابن الأحرش** : عرف لدى العامة الحاج محمد ابن عبد الله ابن الأحرش و أطلق عليهالبودالي نسبة إلى الأدبال الصالحين ، وعرف عند الكتاب الرسميين بالشريف المغربي ، أما الزياني في كتابه دليل الحيران فقال عنه أنه فتى مغربي مالكي مذهبا درقاوي طريقة درعي نسبا ، واستقر بزاوية سيدي الزيتون بضواحي مدينة جيجل وتبنى مبادئ الشريعة الإسلامية ، ينظر :احمد مريوش ، المرجع السابق ، ص 126 .

3- عمار بن خروف ، العلاقات السياسية بين حكام الجزائر و تونس في القرن 18 م – 12 هـ ، دار الأمل للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 2017 م ، ص 271 .

4- مؤلف مجهول ، تاريخ بايات قسنطينة المرحلة الأخيرة ، تح : مختار حساني ، منشورات دحلب ، الجزائر ، 1999 م ، ص ص 24 25 .

5- عمار بن خروف ، المرجع السابق ، ص 272 .

واستطاع الشريف الخروج من قسنطينة و في الأخير تمكن الباي الجديد لقسنطينة عبد الله وجيشه من إخماد الفتنة بنجاح ، وأخضعوا كل القبائل التي كانت خاضعة للشريف وقضوا عليهم نهائيا[1] .

تعتبر ثورة ابن الأحرش أخطر تمرد حدث بايلك قسنطينة قبيل الاحتلال الفرنسي ، لأنه كاد أن يقضي على بايلك الشرق و لأنه دام ثلاث سنوات وقتل فيه عثمان باي ، وكانت الثورة بدعم من حمودة باشا ، وعلى الرغم من أن الحادثة كانت قصيرة إلا أن الاضطرابات التي شهدتها عاصمة بايلك الشرق أثرت بشكل كبير على الناحية الاقتصادية وعلى التجارة بصفة خاصة ، لأن قسنطينة هي أكبر سوق في المقاطعة ، وقد حاول حمودة باشا بعد ذلك الإستيلاء على قسنطينة [2] .

2– المواجهات البرية بين الإيالتين بداية القرن 19 م :

2–1 : أسباب اندلاعها :

كان هدف حمودة باشا الأسمى منذ توليه عرش تونس هو التخلص من الحضور الجزائري في الإيالة التونسية معبرا بذلك عن رغبته في التحرر من التبعية لها وهذا مع بداية القرن 19 م .

وكما رأينا فقد حاول استغلال أوضاع بايلك الشرق و أغرى ابن الأحرش للقيام بتمرد ضد الحكم التركي بإقليم قسنطينة ، و قبلها كان حمودة باشا قد تحقق من قوته العسكرية و أتم تحضيراته للمجابهة ، ولهذا نراه في هذه الفترة يقوم بعزل وكيل الجزائر ، كما قام بشتم الجزائريين و دايهم ، و أمر الحكام العدليين وقضاة تونس بالحكم على الجزائريين مثلهم مثل سائر الناس بعد أن كان لهم حكام خاصين بهم ، هذا التصرف بحد ذاته تجاوز خطير و إغاظة لداي الجزائر ، فما كان رد الجزائر إلا إرسال المزيد من البقر والمواشي لتباع في تونس بأسعار عينها الباي مسبقا ، وكان ذلك " ... بصيغة صريحة في الإمرة على غير الأسلوب الذي أعتيد منهم... "[3] ، الأمر الذي أغضب حمودة باشا فجمع رجال دولته واستشارهم جميعا ، وتم الاتفاق على أمرين :

1- سحابات زهيرة ، المرجع السابق ، ص 132 .

2- محمد العربي الزبيري ، التجارة الخارجية للشرق الجزائري ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1972 م ، ص ص 31 – 32 .

3- محمد الصالح العنتري ، المصدر السابق ، ص 68 .

الأمر الأول : عدم إرجاع مصطفى انجليز ، هذا الباي القسنطيني الذي كان قد فر إلى تونس واستقبله حمودة دون أية رد فعل سيئة ، حيث أكرم نزله ، فانضم إلى حمودة باشا وكان سببا في اندلاع الحرب بين الجزائر وتونس فيما بعد[1] ، و الأمر الثاني هو بيع البقر الجزائري في السوق بشهادة عدلين وأن لا يمنع أحد من بيع بقره خلال هذه المدة ، ثم كتب لداي الجزائر قائلا له : " ... إن البقر أمرنا بيعه على يد عدلين ، وجمع من ثمنه كذا وتولى قبضه رسولكم بأمرنا ، وإن أرسلتم بعده شيئا للبيع فليكن خطابكم في ذلك لوكيلكم وحاله في حال عامة أهل البلد من غير فرق ، وقد كنا نرى أن فعلنا معكم سابقا إنما هو ثمرة محبة ، وحيث رأيتموه واجبا فلا نسلم هذا الوجوب ..."[2] ، والرد هنا واضح وصريح وعلى داي الجزائر تقبل الأمر .

بناءا على ما سبق فإن تصرف حمودة باشا هو بحد ذاته تجاوز غير مسؤول ، فهو يريد أن يفصح عن ما بداخله ، ففي البداية شتم داي الجزائر ثم طرد الوكيل ، وهو من حرض ابن الأحرش وتحالف مع مصطفى انجليز إلى غاية التصرف الأخير المتمثل في مشكلة منع بيع البقر ، وكل هذا دلالة على أنه يريد أن يخرج من ظل الجزائر ومن هيمنتها والدخول في إطار تعامل الجيران بدل التابع والمتبوع التي أقرتها معاهدة 1756 م ، وهذا الشيء كان بالغ الوضوح .

من بين النماذج الدالة على هذا أن حتى الدول الأوربية لاحظت نوعية هذه العلاقة ، وكتبت عن هذا الأمر ، ومنهم قنصل فرنسا ، حيث قال عندما قام بعض البحارة الجزائريين بالاعتداء على السفن الأجنبية الراسية في ميناء تونس : " ... أعمال قوة متفرقة تمارس على البلاد التونسية وهي أعمال مهينة صارت تعتبر موجهة ضد حمودة باشا شخصيا ، وهو يخفيها ويتصنع تجاهلها ، لأنه لم يجمع بعد كل إمكانياته التي تمكنه من قهرها وزعزعة خضوع بلاده للجزائر خضوعا مذلا ، هو الآن في عمل متواصل في هذا السبيل لتحقيق هذا الهدف ..."[3]، و الواضح هنا أن نية حمودة في التحرر كانت جلية لأنه كان ينزعج من هاته التصرفات لأنها تظهر للعلن تبعية تونس للجزائر ، كما أصبح ينزعج من التصرفات التي يقوم بها دايات الجزائر ، وهذا التصرف الأخير من طرفهم دلالة على تمتع الجزائر بحريتها في الملاحة التونسية .

1- محمد الصالح العنتري ، المصدر السابق ، ص ص 68 - 69 .

2- رشاد الإمام ، المرجع السابق ، ص ص 394 – 395 .

3- نفسه ، ص 392 .

أما موقف السلطان العثماني خلال هذه الفترة والذي كان عالما لما يحصل داخل الإيالات ، فالقوة البحرية التي أنشأها حمودة باشا قد بلغت صداها ، أما البحرية الجزائرية فهي غنية عن التعريف ، حيث كان مدركا لنوايا الإيالتين ، فتونس ترفض التبعية و الإلتزام ، والجزائر ترفض التخلي عنها ، ولهذا نراه يرسل فرمانا يقضي بضرورة التعاون بين السفن الجزائرية والتونسية من أجل إرساء الأمن داخل الفضاء المتوسطي ومنع التجوال في المناطق المحظورة ، ويذكر أيضا أن هناك من يهاجم السفن في المتوسط ، ولعل تصرف السلطان العثماني واضح فهو يريد التخفيف من حدة الصراع بينهما[1] .

فكر حمودة باشا في الأمر مليا ، وتأمل النتائج المترتبة عن هذه التصرفات التي سيقوم بها وما سيجنيه من غضب الجزائر ، إلا أنه قرر أخيرا التخلص من التبعية السياسية للجزائر التي كانت تنال كثيرا من هيبته ، حيث نراه يأمر برفع العلم التونسي في كل مكان من إيالته ، بعدما كان يرفع في المنتصف عند الحدود مع الجزائر باعتبارها ولية عليها ، كما يوصي بإعادة تشييد التحصينات على حدوده مع الجزائر ، وهذا يعتبر نقضا للالتزامات المشروطة على تونس ، والتي أقرتها عليها الجزائر سنة 1756 م ، بعدم بناء التحصينات العسكرية، وأمر في الوقت ذاته بتشكيل جيش للزحف به في الحال على جيرانه الجزائريين في حالة ما إذا بادر باي قسنطينة إلى أية أعمال عدائية ضده ، ورغم تحذير دايات الجزائر له إلا أن عزيمة حمودة باشا كانت أقوى من أي تهديد جزائري ، وقرر بدأ المواجهة وقام بكل الاستعدادات اللازمة من أجل إنهاء الهيمنة الجزائرية[2] .

2–2: المواجهة البرية الأولى : 1807 م :

بدأت شعلة الحرب لما هاجم عبد الله باي قسنطينة عرش أولاد بوغانم في رأس الحدود التونسية ، وألحق بهم خسائر كبيرة ، حيث وصل إلى أعقاب الكاف ولقد غضب باي تونس من هذا الأمر ، وحتى مصطفى إنجليز الفار كان قد أعلن عداءه للجزائر ، وانضم إلى قوات حمودة باشا ، كما أمر وكيل الجزائر والتجار بالذهاب إلى بلادهم لأن ناقوس الخطر قد دق[3] ، فما كان على حمودة باشا إلا الخروج بحملته لتأديب باي قسنطينة

1- زهيرة سحابات ، المرجع السابق ، ص 131 .

2- ألفونس روسو ، الحوليات التونسية من الفتح العربي حتى احتلال فرنسا للجزائر ، تر وتق : الوافي عبد الكريم ، منشورات جامعة قاريونس ، ليبيا ، ط1 ، 1992 م ، ص ص 277 – 278 .

3- زهيرة سحابات ، المرجع السابق ، ص ص 134 -135 .

وخرج بعدما جهز محلته بسرية تامة[1] ، وراح متجها نحو قسنطينة في 25 ديسمبر 1805 م ،حيث هاجمهم واستطاع هزيمتهم بكل سهولة بسبب عدم سماعهم بهذه الحملة المجهزة رغم وجود وكلاء و أعين بالمنطقة ، ضف إلى ذلك دفاع ابن صالح باي الذي لم يكن في المستوى المطلوب ولا الخطة التي وضعها لردعهم ، حيث تمركز في سطح المنصورة وعدم ملاقاة الجيش التونسي بعيدا عن المدينة وهذا اكبر خطأ اقترفه باي قسنطينة ، كما لم تكن الظروف الداخلية مواتية من أجل ردع حملة باي تونس ، فالثورات الداخلية كانت على أشدها في قسنطينة قبل وبعد الحملة ، حيث شهدت تمردات بعض القبائل التخومية منها قبيلة الحنانشة والنمامشة سنة 1804 م ، وثورة ابن الأحرش ما بين سنتي 1804 – 1807 م ، ضف إلى ذلك ثورة درقاوة بالغرب الجزائري والتي وصل أثرها إليهم[2] .

ساعدت الظروف الآنفة الذكر الباي التونسي بالتوجه من جديد نحو قسنطينة بقيادة سليمان الكاهية ، وهذا يوم السبت منتصف ذي القعدة سنة 1221 هـ – 24 جانفي 1807 م ، وخرج معه الأغا أبو العباس احمد الجزيري ، ومعه علي ابن الحاج مصطفى انجليز ، والكاتب الفقيه أبو عبد الله محمد المسعودي ، واقتصر الباي في هذه المحلة على عسكر الترك و المخازنية من الصبايحية و الحوانب ، وحتى قبيلة دريد خرجت نساءها على عادة العرب في أسفارها ، وانتدب للسفر فرسانا من عروش ونيفة بعد أن ملأ خزائن الكاف بالقمح والشعير والزيت وسائر ما يلزم للمحلة ، وعليه سار سليمان الكاهية الأول بجيشه نحو قسنطينة والذي لم يكن شخصه في المستوى ، حيث كان مغفلا وبعيدا كل البعد عن الحزم ، ضعيفا عن حمل ثقل العهدة ، يتوقف في أقل الأمور على المشورة ، وأضاع بسبب ذلك التوقف فرصا كثيرة ، وكانوا قد وصلوا قسنطينة بجيش كبير وعاثوا في نهب سكانها ،وأخذوا بمخانق حصرها ،وألحوا عليها بالمدافع حتى أشرفوا على أخذها[3] ، ونتيجة لتلك الهزيمة الثقيلة فر باي قسنطينة إلى قصر الطير بنواحي جميلة مما فسح المجال أمام تقدم القوات التونسية وتمركزها في هضبة المنصورة وكدية عاتي ، كما أن قسم منه تمركز في منطقة سيدي مبروك[4] .

1- أحمد الشريف الزهار ، المصدر السابق ، ص 36 .

2- السايح الفيلالي ، العلاقات السياسية الجزائرية التونسية 1800 – 1830 م ، بحث دراسات معمقة في التاريخ الحديث ، جامعة قسنطينة ، 1982 – 1983 م ، ص ص 82 -83 .

3- أحمد بن أبي الضياف ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 58 .

4- السايح الفيلالي ، المرجع السابق ، ص 84 .

وهكذا استطاعت الانتصار عليها وفرض حصارها لمدة طويلة قدرت بثلاثين يوما بلياليها[1] .

مال وضع الحرب منذ البداية إلى كفة تونس باعتبار الجزائر كانت منشغلة بالقضاء على ثورة سكان فليسة بجبال جرجرة[2] ، وعلى إثرها استغل حمودة باشا هذا الوضع وراح يزج أعضاء الوفد الجزائري في قسنطينة في السجن ، كما قام بتمزيق رسائل رسمية كانوا يحملونها بدعوى أن داي الجزائر لم يبعثها له خصيصا[3] ، ولما سمع داي الجزائر بكل هذا سارع إلى إرسال النجدة على وجه السرعة ، وأرسل حملتين لنجدتها واحدة برية والأخرى بحرية ، ولقد التقى الجيشان الجزائري والتونسي في منطقة بوحمرون[4] ، حيث تمكنت قواته من إلحاق الهزيمة بالجيش التونسي ، واستولت على كل ما لديه من مؤن وذخيرة وقتلت الكثير ، كما التحق 600 جندي بالجيش الجزائري بأسلحتهم ، وكان عدد الجيش التونسي آنذاك خمسين ألف رجل ، ويقال بأن هذا أعظم انتصار حققه البايلك على أرض الجزائر ضد التونسيين[5] .

2–3: المواجهة البرية الثانية : 1807 – 1808م :

لم يستسغ باشا تونس الهزيمة ولا حتى شعبه الذي مازالت أهوال جند الجزائر في أسماعهم من وقائع سابقة ، حيث راح يستجمع قوى دولته وقرر الذهاب بنفسه على رأس الجيش في حملة ثانية على مملكة الجزائر ، غير أن مستشاره رجب بونمرة عارضه في الأمر ، وأقنعه بوجوب البقاء في تونس[6] ، ومن جملة ما قاله له كاهيته : " ... أنت لا تملك أمر نفسك والمالك لأمرك مصلحة البلاد والمصلحة أن تكون في مركز ولايتك ردءا لمن ترسله ، فإذا انهزم لا تهزم البلاد بخلاف ما إذا خرجت بنفسك ..." [7]، الواضح أن الكاهية كان رده و رأيه واضحا فإذا خرج الباي و انهزم فسيعترف بذلك بقوة الجزائر ، وعليه فإن الأمر سيكون صعبا عليه وعلى البلاد ، على عكس إن خرج غيره وانهزم ، فالأمر لن يعدوا على هزيمة حربية .

1- زهيرة سحابات ، المرجع السابق ، ص 136 .
2- محمد الصالح العنتري ، المصدر السابق ، ص 75 .
3- رشاد الإمام ، المرجع السابق ، ص 395 .
4- زهيرة سحابات ، المرجع السابق ، ص 136 .
5- محمد الصالح العنتري ، المصدر السابق ، ص 75 .
6- رشاد الإمام ، المرجع السابق ، ص 396 .
7- أحمد بن أبي الضياف ، المصدر السابق ، ص 59 .

على هذا الأساس عين الباي حمودة باشا يوسف صاحب الطابع[1] كاهية مكان سليمان الذي أثبت فشله في الحملة السابقة وقائد للمحلة في نفس الوقت فجهز الباي ما تبقى له من خيرة الجند و المتطوعين فكانوا أربعة وعشرين ألف مقاتل ، جهزهم في الحين بفضل إعانة مالية كبيرة من الوزير يوسف صاحب الطابع وغيره ، كما جمع الأسلحة المتبقية وانتقلوا بعد هذا التجهيز تحت إمرة قائدهم الجديد إلى ساحة القتال مرورا بمدينة الكاف[2] ، أما الجيش الجزائري و في وسط الفرحة التي تغمره قرر متابعة الجيش التونسي بقيادة حسين بن صالح باي و حسن أغا بناء على أوامر الداي ، حيث انطلق الجيش ووصل إلى حدود وادي سراط أمام مدينة الكاف التونسية[3] ، وكما ذكرنا سابقا كان قد سبقه يوسف صاحب الطابع إليها ، وهناك اصطدم الجيشان أي بوادي سراط في 13 جوان 1807 م في موقعة تعرف بسلاطة ، وجرت بينهما معركة عنيفة وكبيرة[4] .

رجحت كفة المعركة في بداية الأمر للجيش الجزائري بالرغم من صمود الجيش التونسي المعتمد على المواقع الحصية ، إلا أن الجيش الجزائري تمكن بفضل حنكته من زحزحته من مواقعه ، ولولا لجوء الجيش التونسي إلى استخدام المدفعية بناء على نصيحة مصطفى انجليز باي قسنطينة سابقا واللاجئ إلى باي تونس باستخدام المدفعية لكان النصر حليف الجيش الجزائري ، وعليه قرر الباي حسين مغادرة الميدان مع جيشه ليلا بعد تخاذل القياد والقوم[5] على خوض المعركة[6] ، وحسب ابن العنتري أيضا ، فإنه سبب هذا الانكسار هو تعاون بعض الجزائريين مع التونسيين وتزويدهم بالأخبار النافعة لهم[7] .

1- **يوسف صاحب الطابع** : هو يوسف خوجة ، من مسلمي البلقان (رومانيا) ، جلب إلى تونس من عبيد الآستانة ، كان محبوب حمودة باشا الذي جعله وزيرا ، وأعطى له رتبة " الطبع " في رئاسة الوزراء ، كان ثريا وشجاعا ، وكان قائد لمعظم حروب حمودة باشا مع الجزائر ، اغتيل سنة 1815 م ، ينظر ابن أبي الضياف ، المصدر السابق ، ص ص 89 –100 .

2- رشاد الإمام ، المرجع السابق ، ص 397 .

3- السايح الفيلالي ، المرجع السابق ، ص 88 .

4- محمد الصالح العنتري ، المصدر السابق ، ص 75 .

5- هم مقاتلون فرسان توفرهم القبائل وخاصة تلك الحليفة للأتراك ، ينظر : صالح عباد ، الجزائر خلال الحكم التركي 1514 – 1830 م ، ، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع ، الجزائر ط2 ، ص 320 .

6- السايح الفيلالي ، المرجع السابق ، ص 88 .

7- محمد الصالح العنتري ، المصدر السابق ، ص 75 .

كانت هذه الواقعة الفاصلة التي انتصر فيها الجيش التونسي على أعداءه حيث أرسل صاحب الطابع بريد مستعجل جدا للباي يعلمه فيها بالانتصار الذي حققوه مبينا عدد الأسرى والقتلى في صفوف الجزائريين ، كما اعلمه بوضع الجند الجزائري ، وقال أنه مشرد في الجبال ، وأن الجند التونسي يطارد فلولهم في كل مكان[1] ، و إن كان التمزق داخل الجيش الجزائري هو سبب انهزامه أيضا حيث يرجع سبب انسحاب البعض منه أن هذه الحروب هي من صنع الحكام ، وليست في صالح الشعب المغلوب على أمره أو لعله تعاطف منهم مع جيرانهم التوانسة ، وأنهم كانوا يرون فيهم أناسا يحاربون من اجل المحافظة على استقلال بلادهم ، وهذا الانشقاق سهل عملية الجيش التونسي[2] .

يذكر صاحب الحوليات بأن الإيالة التونسية احتفلت بهذا النصر وسط دوي المدافع ، وهاته الفرحة الكبيرة لها أسبابها من أهمها : إنهاء التبعية للجزائر ، كما أعفى هذا الانتصار الحكومة التونسية من إعطاء الجزائر شحنتين من الزيت التي كانت تزودها تونس للجزائر من اجل إنارة المساجد ، كما أفشلوا مخططات الداي الجزائري حيث تم العثور في خيمة قائد الجيش الجزائري بعد فراره من أرض المعركة ، على تعليمات مكتوبة صادرة إليه من داي الجزائري أحمد خوجة ، وكانت التعليمات تأمره باحتلال مدينة الكاف وضمها هي و أراضيها إلى التراب الجزائري ، كما أن التعليمات نفسها كانت تأمره بزحزحة الخط الحدودي الفاصل بين الإيالتين حتى مدينة باجة التونسية شرقا ، ولهذا تعامل بحنكة مع هذه الظرف ، ونراه يرجع الأسرى الجزائريين إلى بلادهم بعدما خيرهم إما البقاء و إما الرحيل ، وإن كانت هذه اللفتة من أجل إنهاء الصراع ، لكن داي الجزائر رآها إهانة له و أقسم أن ينتقم للأمر ، إلا أنه اضطر في الأخير إلى الإذعان لإدارة الديوان الجزائري الذي طلب منه التعامل بالمثل فأرجع بدوره أسرى تونسيون على نفس المراكب[3] .

لم تكن هذه المستجدات لتمر بردا وسلاما على الجزائر ، حيث بلغ الباي التونسي سنة 1223 هـ – 1808م أن الجزائريين استجمعوا العودة للحرب وغزو تونس مجددا ، ولهذا جهز الباي التونسي حمودة باشا محلة بها مائة جندي من العسكر وجمع من الفرسان من المخازنية و المزارقية ، وفرسان العروش، و خرج بها الوزير يوسف

1- رشاد الإمام ، المرجع السابق ، ص ص 397 – 398 .

2- السايح الفيلالي ، المرجع السابق ، ص 90 .

3- ألفونص روسو ، المرجع السابق ، ص ص 285 – 286 .

صاحب الطابع ، ومعه سليمان كاهية يوم الاثنين 13 جوان 1808 م ، وقطع وادي سراط ، ولما تحقق الجزائريون من كثرة عدد الجيش التونسي تراجعوا وعادوا إلى بلادهم فاستأذن الباي حمودة باشا وقفل هو الآخر راجعا إلى بلاده ولم تحدث الحرب[1] .

أما في الجزائر فلقد كان ضحية هاته الحروب كل من باي قسنطينة حسين باي وعلي باي إثر ثورة أحمد شاوش ، هذا الأخير الذي تحالف مع باي تونس ضد داي الجزائر لهذا تم اغتياله ، أما مصير الداي أحمد خوجة فهو لا يختلف عن مصير حسن شاوش حيث قتل على يد الإنكشارية بعدما أبرم اتفاقية مع الباي التونسي ، وهم يرونه ألد أعدائهم[2] .

إن الأحداث الخطيرة التي شهدتها قسنطينة التي كانت مسرحا للصراع الجزائري التونسي و لولا لطف الله لفنى من فيها ، كانت ستتخذ مجرى آخر لو تطورت الأمور ، ولهذا نرى داي الجزائر فجأة يرسل وفدا جزائريا إلى تونس للتفاوض حول الصلح ، حيث وصل الوفد في شهر سبتمبر سنة 1808 م ، ولم تتعثر المفاوضات هذه المرة طويلا إذ لم تلبث العلاقات الطيبة أن عادت إلى طبيعتها ، وتم إبرام الصلح خلال شهر نوفمبر[3] ، وعليه فإن الانتصارات التي حققها حمودة باشا جعلته يتحرر نوعا ما من التبعية للجزائر ، ويتمتع بالحرية ، وخاصة أنه كان يسعى لإنشاء حكومة مثل حكومة الجزائر[4] .

3– المواجهات البحرية (1811 – 1813 م) :

3–1 : المواجهة البحرية الأولى 1811 م :

إن الخسارة والهزيمة التي تعرض لها الجيش الجزائري لم تكن بيسيرة النسيان ، والتي سارعت إلى استرجاع مكانتها بالإيالة التونسية ، لكن هذه المرة ستكون المواجهة على غير العادة ، لأن حكام الجزائر اختاروا البحر

1- أحمد بن أبي الضياف ، المصدر السابق ، ج3 ، ص ص 66 -67 .
2- السايح الفيلالي ، المرجع السابق ، ص 92 .
3- ألفونص روسو ، المرجع السابق ، ص ص 287 – 288 .
4- سحابات زهيرة ، المرجع السابق ، 139 .

لرد الصاع حيث كانت القوات البحرية تلاحق السفن التونسية في عرض المتوسط ، وحتى على الموانئ التونسية ، مما أثر على التجارة الخارجية لتونس ، ولقد بلغت تلك الاعتداءات حدا كبيرا من الأذى على الأسطول التونسي والتجارة التونسية[1] .

بدأت تلك الاعتداءات مع الرايس حميدو[2] ، وهذا عندما خرج للبحر من أجل ممارسة نشاطه البحري ، حيث طلب منه داي الجزائر الحاج علي مضاعفة نشاطه في المتوسط ، وفي طريقه لقي بعض المراكب التونسية محملة بالشاشية ، فأخذها ثم أمر بتجهيز ستة مراكب من أجل الذهاب إلى جربة ، ولما تم التجهيز ارتحلوا لها ، ومع وصولهم للمرسى طلب منهم المكوث بها ، ولما رأوهم سكان جربة هربوا وبقي الرايس حميدو مع مراكبه أياما بها ثم غادرها[3] ، وفي شهر ماي أيضا من عام 1811 م ، هاجم الجزائريون جزيرة جربة التونسية بهدف احتلالها ، إلا أنه وبسبب جهلهم لطبيعة بحار تلك الجزيرة غاصت سفنهم في السباخ المحيطة وتعذر خروجهم إلا بصعوبة كبيرة ، ولهذا استغل سكان الجزيرة عجز السفن الجزائرية ، وراحوا يصوبون عليهم وابل من الرصاص ، ولم يتمكن الغزاة من الإفلات إلا بعد تسع ساعات من العمل المضني[4] .

لم تكن هذه التجاوزات ليتقبلها حمودة باشا ، وراح يجهز أسطولا به أربعة عشر مركبا حربيا وشحنها بالعسكر ، وأمر عليها القبطان محمد رايس المورالي الذي خرج ليلة الثلاثاء 07 ماي 1811 م ، وكان أكثر رؤساء المراكب من الأرناؤوط فأنفوا من تقديم محمد المورالي عليهم ، ولما التقى بمراكب الجزائر خذله جنده[5].

ويذكر أن المورالي قد صمد في القتال على متن بارجته لمدة ست ساعات ، ولم يستسلم إلا بعد أن تحطمت سفينته تماما ، فأسر وسيق إلى الجزائر حيث أعدم على حطام بارجته ، أما بقية وحدات القوة التونسية

1- سحابات زهيرة ، المرجع السابق ، ص 139 .

2- **الرايس حميدو** : هو الرايس حميدو بن علي الجزائري ، من أشهر رجالات البحر الجزائريين ، اشتهر بخوضه لمعارك بحرية ضد أساطيل أوربا وأمريكا في البحر المتوسط ، توفي سنة 1815 م أثناء معركة بحرية ضد الأمريكيين ، ينظر : أحمد الشريف الزهار ، المصدر السابق ، ص 90 .

3- أحمد الشريف الزهار ، المصدر السابق ، ص 106 .

4- رشاد الإمام ، المرجع السابق ، ص 400 .

5- أحمد بن أبي الضياف ، المصدر السابق ، ص 67 .

فقد اتجهت بسرعة إلى ميناء مدينة المنستير ، و مما يجدر ذكره هنا هو أن هذه المعركة البحرية قد خلفت 41 قتيلا جزائريا ، و 230 تونسيا ، وتمكنوا من أخذ فرقاطتين و 46 بندقية ، أضيفت إلى الأسطول البحري الجزائري[1].

بالرغم من حالة الحرب التي كانت قائمة بين الإيالتين ، لكن لم يندلع قتال آخر بينهما بعد الحرب البحرية الأولى ، والتي كانت مياه سوسة مسرحا لها في شهر ماي 1811 م ، حيث ظلت العلاقات بين البلدين مقطوعة ، كما ظلت القوات التي خصصتها الإيالتين لمراقبة تحركات الجانب الآخر على طول الحدود في حالة استنفار ، في حال البلد الآخر قرر المجابهة ، بالرغم من وجود دعاة للصلح في ديواني الإيالتين طول فترة الانقطاع غير أن الكبرياء والأهداف حالت دون وضع حدا للصراع المنشود[2] .

تجدد الصراع نتيجة تعصب حكام الجزائر من أجل استرداد مكانتهم بتونس ، حيث تجسد الغضب الجزائري في 24 جويلية سنة 1812 م ، لما جاء إلى مرسى حلق الوادي أسطولا حربيا جزائريا مكونا من تسعة عشر مركبا ، ولديه أوامر من حكامهم لمحاصرة المرسى التونسي ، إلا أن هذه المحاولة كان هدفها جس نبض الباي التونسي حمودة باشا فيما إن كانت هناك محاولة للصلح ، حيث سلمت رسالة للباي المذكور بخصوص عقد صلح نهائي بين الإيالتين شريطة أن تفي بالتزامها ، والمعلوم أن حمودة باشا التونسي كان يرفض بشكل قاطع الالتزام بها ولا يريد في أية حال من الأحوال بأن تبقى تونس تابعة للجزائر ، وكان أحد هذه الشروط حمولة زيت الزيتون التونسي لها ، ولكن هذا الالتزام رأى فيه حمودة باشا نذر ديني شخصي ، ولهذا سيوافق على الإرسال ، ولكن الأهم عند الباي التونسي أنه تخلص من الالتزام المالي ، الذي كان يعتبر ثقلا كبيرا على الإيالة التونسية سواء من الناحية الاستقلالية للبلاد أو حتى من الناحية الاقتصادية لها[3] .

وصلت أصداء هذه الحرب البحرية إلى السلطان العثماني سنة 1812 م ، حيث أدرك مخاطرها ، ولهذا طلب معرفة الأمور الحاصلة بين الإيالتين ، و أسباب الصراع القائم طول هاته المدة ،ولماذا لم يتم الصلح بينهما ، وتم إبلاغه بكل الأحداث ، وعلى إثرها أرسل السلطان العثماني فرمانا بفرض الصلح بين الإيالتين و الالتفاف

1- رشاد الإمام ، المرجع السابق ، ص 401 .

2- ألفونس روسو ، المرجع السابق ، ص 299 .

3- نفسه ، ص ص 299 – 300 .

إلى الأخطار الأجنبية المترصدة بهما ، كما شدد على ضرورة إنهاء الصراع بين الإيالتين ، وأن يعم الوئام بينهما ، و إلا لن يحصل خيرا حيث هدد السلطان إيالة الجزائر بان يغلق موانئ المشرق في وجهها ، ويعتبرها من اليوم من الإيالات المتمردة باعتبارها المتعدي الدائم على تونس[1] .

رفض تونس لدفع إلتزاماتها المالية اتجاه الجزائر والتي هي بحاجة إليها لم يستسغه الداي الجزائري ، وعلى هذا الأساس أمر القائد الجزائري جنوده بإطلاق النيران على قلعة ميناء حلق الوادي ، والمرجح ذكره هنا أن القلعة كانت محاصرة من طرفهم ، وقد تصدى لهم الأسطول التونسي بقيادة يوسف صاحب الطابع على رأس مائة وخمسة وسبعين من الشواني ، على رأس كل منها مدفع ، ومنها ما عليه مدفعان[2] ، كانت النتيجة تحطم سفن الجزائريين ، ورجعوا أدراجهم ، وقبل رحيلهم سطوا على بعض المراكب التابعة لتجار تونسيين[3] .

3–2: المواجهة البحرية الثانية 1813 م :

أولى حمودة باشا منذ توليه العرش التونسي بتدعيم القوة العسكرية وخاصة بناء السفن ، ولقد بلغت القوة التونسية البحرية آنذاك ستون سفينة مختلفة[4] ، حيث أرسل له السلطان العثماني في هذه الفترة أمرا يطلب منه إرسال بعض السفن التونسية من أجل المشاركة في الأسطول العثماني[5] .

ولعل تخوف الجزائر من هذه القوة البحرية جعلها تدخل في حرب جديدة مع تونس من أجل إضعافها سواء إقليميا أو حتى الإنقاص من مكانتها لدى الباب العالي ، ففي 23 جويلية 1813 م ، جهز حكام الجزائر أسطولهم وحاصروا بها حلق الوادي ، وهناك كانت المعركة البحرية الكبرى ، ووقع بين الإيالتين قتال عظيم ، حيث أسفرت المعركة عن انتصار الأسطول التونسي ، ورد الجزائريين على أعقابهم بعد أن تحطمت العديد من سفنهم[6] ، كما خسرت الجزائر في هذه المعركة العنيفة حوالي 200 رجل ، وأربع مراكب كبيرة[7].

1- زهيرة سحابات ، المرجع السابق ، ص 141 .
2- السايح الفيلالي ، المرجع السابق ، ص 95 .
3- رشاد الإمام ، المرجع السابق ، ص 402 .
4- نفسه ، ص 403 .
5- زهيرة سحابات ، المرجع السابق ، ص 142 .
6- رشاد الإمام ، المرجع السابق ، ص 403 .
7- السايح الفيلالي ، المرجع السابق، ص 98 .

معارك بحرية و أخرى برية سارع بها الطرفان إلى إنهاء أو تواصل الهيمنة ، وسيكون فيها رابح واحد في الأخير ، رغم خسارة الطرفين خسائر بشرية ومادية بسبب التعصب التونسي والغضب الجزائري ، فالجيوش البرية في هذه الفترة هي الأخرى لها نصيب من الحروب ، حيث نجد حمودة باشا التونسي يأمر قواته بالتوجه نحو الحدود الجزائرية في 12 أكتوبر 1813 م ، أما الجيش الجزائري فقد أخذ مواقعه في مواجهة مدينة الكاف داخل الأراضي التونسية ، وما إن وصل يوسف صاحب الطابع حتى بدأت المناوشات بين الجيشين ، والتي انتهت بانسحاب الجيش الجزائري ولحقهم الجيش التونسي إلى غاية الحدود حيث توقف ، وتابع الجزائريون طريقهم إلى قسنطينة ، ومنها إلى عاصمة الإيالة الجزائرية ، وبعد اطمئنانهم برحيلهم أمرهم الباي حمودة باشا بالرجوع إلى العاصمة بعد إبقاء حامية قوية في مدينة الكاف تحسبا لأي خطر جزائري[1] .

لم تيأس الجزائر من محاولات إخضاع تونس لها مجددا ، حيث راح في شهر جوان من عام 1814 م محمد بن نعمان باي قسنطينة لحصار مدينة الكاف[2] ، لكنه فشل في محاولاته لأن المدينة كانت محصنة من طرف حمودة باشا ، و يرجع سبب فشله في إخضاع تونس هو وجود جنود فرنسيين وحتى أسلحة فرنسية في الجيش التونسي مما أفشل مهمته .

ولكن مع وفاة حمودة باشا سنة 1814 م اختلفت سياسة من خلفه في الحكم ، حيث مال ابنه عثمان باي والذي خلفه في العرش إلى السلم مع الإيالة الجزائرية ، حيث وبعد ثلاثة أشهر فقط من توليه العرش اقترح الصلح على الجزائر ، لكنه لم يفلح هو الآخر لأنها اشترطت عليه تخريب حصن الكاف ، واحترام معاهدة 1756 م ، والتي يعتبرها الحكام التونسيين معاهدة مهينة لهم[3] .

1- رشاد الإمام ، المرجع السابق ، ص 435 .

2- **مدينة الكاف** : مدينة تقع في الشمال الغربي لتونس ، مدينة سهلية وتربتها خصبة ، وفيها أربعة أبواب ، وبها طرق متشابكة ، ينظر : حصام صورية ، المرجع السابق ، ص 25 .

3- زهيرة سحابات ، المرجع السابق ، ص 143 .

بناء على ما سبق نستنتج أن :

- العلاقات السياسية بين الجزائر وتونس اتسمت منذ نهاية القرن 18 م وبداية القرن 19 م بالتوتر و الصراعات منذ تولي حمودة باشا الحكم في تونس (1782 – 1814 م ، تخللتها فترات للسلم والهدوء النسبي.
- رغم تبعية الإيالتين للباب العالي لكن لم يمنع ذلك من وجود صراع بينهما بسبب رفض حمودة باشا للتبعية الجزائرية وسلطة دايات الجزائر ورفض دفع الالتزامات التي عليها منذ معاهدة 1756 م .
- منذ اعتلاء حمودة باشا لعرش تونس ساهم بكل الطرق للتخلص من هيمنة دايات الجزائر ، و دخل في صراع مع بايات قسنطينة المدعومين من طرف الدايات خصوصا حول مشكل القبائل الحدودية .
- دعم حمودة باشا لبعض الثائرين على الحكم التركي في الجزائر أمثال : ابن الأحرش بداية من القرن 19 م
- كانت فترة حكم حمودة باشا من أهم الفترات التي شهدت فيها الجزائر صراعات قوية مع تونس و يعتبر حمودة باشا هو الباي الوحيد التي كانت له معارك بحرية مع الجزائر .
- انهزام الجزائر في حروبها مع تونس في ثلاث مناسبات أبرزها موقعة سلاطة .
- الانتصارات التي حققها حمودة باشا في حروبه ضد الجزائر كانت بفضل الإصلاحات التي أجراها في جيشه .
- استرجاع تونس لهيبتها ، ووضع حد لتدخلات الدايات الجزائريين من أهم ما حققه حمودة باشا في فترة حكمه .
- التخلص من مختلف الشروط والالتزامات التي كانت مفروضة على تونس من قبل الجزائر من خلال الاتفاقيات التي كانت بينهم (معاهدة 1756 م) .
- تخلل مواجهات حمودة باشا فترات للهدنة والسلم بين الإيالتين ، و تدخل الباب العالي لفك النزاع بينهما ، الأمر الذي سمح باستمرار العلاقات التجارية و ووجود روابط اجتماعية ، و استمرار التواصل الثقافي بين الإيالتين .

الفصل الثاني

العلاقات التجارية ، الإجتماعية و الثقافية بين إيالتي الجزائر وتونس

(1782 –1814 م)

المبحث الأول: مظاهـــــر العلاقات التجاريةبين الإيالتيـــــــــــــن .

المبحث الثاني:مظاهر الروابط الإجتماعية و التواصــل الثقافي بين الإيالتيــن .

الفصل الثاني : العلاقات التجارية ، الإجتماعية و الثقافية بين الإيالتين

(1782 –1814 م)

المبحث الأول: مظاهر العلاقات التجارية بين الإيالتين (1782 – 1814 م).

1– المبادلات التجارية .

1–1– الصادرات الجزائرية .

1–2– الصادرات التونسية .

2– المحطات و الطرق التجارية .

2–1– طريق تونس

2–2– طريق قفصة و نفطة .

2–3– طريق نفطة وغدامس

2–4– طريق غدامس .

3– الأسواق التجارية .

3–1– سوق قسنطينة .

3–2– سوق وادي سوف .

3–3– سوق ورقلة .

3–4– سوق تقرت .

تمهيد :

عرفت العلاقات التجارية بين الإيالتين الجزائرية والتونسية اتجاهين اثنين ، الاتجاه الأول استحوذت فيه السلطة الحاكمة في الجزائر على العلاقات التجارية حيث كانت امتداد للعلاقات السياسية بينهما ، الأمر الذي أدى إلى توتر العلاقات مع تونس ، في حين نجد الاتجاه الثاني والذي تمحور في الصلات التجارية بين الشعبين القائمة على التواصل و الترابط مع استمرار تنقل الأفراد و القوافل دون انقطاع ، كما ساهمت في جانب آخر في تمتين هاته الصلات بتوطيد العلاقات الإجتماعية بين البلدين من خلال المصاهرة والهجرة وتزايد فكرة التقارب أكثر بما يخدم سكان المنطقتين على الرغم من كل الخلافات السياسية .

كما لم تمنع التوترات من بقاء التواصل الثقافي والديني بين الإيالتين ، خاصة وأن كلا الطرفين اهتموا بالعلم والعلماء وطلبة العلم ، وانتشر على إثرها هجرة العلماء والمتصوفة ، إضافة إلى التقرب الدائم من رجال الزوايا وأصحاب الطرق الصوفية ومنحهم امتيازات عديدة ، فالمواجهات والتوترات التي تقوم بين الفينة والأخرى بين حكامهما لم تقف حائلا في وجه وإرادة شعبيهما في إثبات صلة التواصل بينهما في جميع المجالات .

و عليه ، كيف كانت العلاقات التجارية بين البلدين في عهد حمودة باشا ؟ و ما هي أبرز مظاهرها ؟ وفيما تمثلت الروابط الإجتماعية التي كانت قائمة بين الإيالتين آنذاك؟ و ما هي أبرز مظاهر التواصل الثقافي بينهما ؟ و إلى أي مدى كان التواصل مهدئا للعلاقات السياسية المتوترة ؟

المبحث الأول : مظاهر العلاقات التجارية بين الإيالتين :

1 – المبادلات التجارية :

كان للقرب الجغرافي دوره في تنشيط حركة التبادل التجاري بين الإيالتين الجزائرية والتونسية، بالإضافة إلى دور تجار الإيالتين من خلال حركة قوافلهم المستمرة ، و بالرغم من أن التعاملات التجارية غلب عليها طابع المقايضة إلا أن الكثير من السلع الجزائرية عرفت طريقها إلى الأسواق التونسية[1] .

1-1-الصادرات الجزائرية :

إن تحقيق الجزائر انتصارات في كثير من معاركها ضد تونس جعلها محل مهابة في نفوس حكامها و أهاليها ، كما أن نجاحها في مهامها السياسية التي استوجبت تنصيب حلفائها على العرش التونسي زاد من إمكانية تأثيرها في مجريات أحداث ذلك البلد ، لأن التنصيب الذي حظي به بعض الحكام التونسيين بدعم من الجزائر كان رهين شروط إقتصادية من جملتها تقديم تسهيلات وامتيازات تجارية لأرباب الإيالة الجزائرية وممثليهم في تونس خاصة في الفترة الممتدة بين (1756 – 1807 م) ، التي كانت فيها تونس تحت هيمنة دايات الجزائر ، وقد شكل ذلك عبئا ثقيلا عليهم إلى غاية سنة 1807 م ، هذه السنة التي أعلن فيها حمودة باشا انسلاخه من كل تبعية للجزائر[2] ، وقد ساهمت ظروف عديدة حمودة باشا للقيام بهذه الإجراءات منها :

- تخبط الجزائر في ظروف سياسية صعبة كثورتي ابن الأحرش والدرقاوي (1804 م) .
- وفود باي قسنطينة السابق مصطفى إنجليز إلى تونس ، حيث وعده حمودة باشا بتقديم كل العون والسند له لإستخدامه كورقة ضغط ضد بايلك الشرق .

ويدخل هذا التمرد المعلن من حمودة باشا على الجزائر " بأنه يدخل ضمن سياسة إصلاحية واسعة النطاق قام بها في تونس ، فقد كان أميرا شابا معروفا بنزعته الإستقلالية وحماسه المتقد ، فقد صمد أكثر من سابقيه في وجه الهيمنة الأوربية ، وقطع العلاقات مع البندقية ... و رضي بإبرام معاهدة مع إسبانيا عندما تمكن من فرض شروط ثقيلة الوطأة عليها ..." [3] ، ووقف بحزم ضد فرنسا ودافع عن مصالحه ومصالح رعاياه في النشاط البحري ، و

1- كوثر العايب ، المرجع السابق ، ص 52 .

2- عمار ين خروف ، "علاقات الجزائر السياسية مع تونس في عهد الدايات ، 1671 – 1830 م" ، مجلة الدراسات التاريخية ، مجلة دورية معهد التاريخ ، جامعة الجزائر ، ع : 10 ، 1997 ، ص 401.

3- صالح عباد ، المرجع السايق ، ص 208 .

أصبح فيما بعد زعيم النشاط التجاري والمدافع عنه ، و لكي يقوي ويدعم محيطه ودائرته التجارية والسلطوية أكثر ، لجأ إلى إشراك رجال دولته في هذا المجال ، فيوسف صاحب الطابع وكبار القياد واللازمة ك آل جلولي وبن عياد ، كانوا من أهم معاونيه في هذا النشاط ، وقد هدف من سياسته هذه هو محاولة إيجاد منهم السند والدعم اللازمين في الدفاع عن وجود النظام واستقلال البلاد[1] ، الذي من أساسياته التخلص من ثقل التبعية الجزائرية التي تحملوا أوزارها لسنين ، لما لحقهم من ضرر في الميدان الإقتصادي كتعطل تجارتهم وتحملهم كافة أعباء موت أنعام وكلاء الدولة في بلادهم ، وفي هذا الشأن يشير ابن أبي الضياف قائلا : " ... ولما أحس من قوته القدرة على دفع الضيم ، صار يتعلل على أهل الجزائر ، وأخذ في إزالة ما اعتادوه من التعدي ، الذي منه أن صاحب الجزائر ، أو قسنطينة يشتري الأنعام ويبعثها إلى البيع بتونس بثمن يلوح بالإشارة إليه ، فيتعطل أهل البلاد عن بيع أنعامهم حتى يباع ما أتى من الجزائر أو قسنطينة ، والذي يموت من تلك الأنعام في الطريق تدعي رعاته أنه سرق منهم في أرض تونس ، فيزداد ثمنه عن الثمن المطلوب ... "[2] .

ويضيف أيضا بأن لما وفد باي قسنطينة الحاج مصطفى إنجليز طريدا بعد عزله من منصبه رفقة ابنه علي ، فأحسن حمودة باشا قبوله وأكرم نزله ، ومنحه بستانا بمنوبة ووعده بإعادته لبلاده ، الإجراء الذي استفز داي الجزائر وتعلل بإرسال عدد من البقر يطلب بيعه في تونس ، وعين ثمنه في كتابه بصيغة فيها الأمر على غير الذي اعتيد منه لطف الخطاب ، وأدب الأمر بمقتضيات المحبة ، فأنف حمودة باشا لذلك واشتد غضبه ونفد صبره ، وجمع رجال دولته واستشارهم في هذا الأمر ، فأشار إليه وزيره ورئيس كتبته أبو عبد الله محمد الأصرم[3] ، بعدم الدخول في الحرب للأضرار التي ستلحقها بالبلاد ، أما يوسف صاحب الطابع فرأى بأن قبولهم لهذا الذل هو الذي أوصلهم إلى هذا المآل ، واقترح عليه إعلان الحرب كما جاء في قوله : " ... عظم الأمر واتسع الخرق والمساعدة هي التي أوصلتنا إلى هذه الدرجة من المعرة فإن سيدنا حمودة باشا سمسار لصاحب الجزائر ، وليته وقف عند السمسرة بل هو محكوم عليه بأداء مال معين ودفعه بظلم رعيته كدفعه من خزانته ... "[4] .

وبالتالي كان الرد على الداي بالنحو الآتي : " ... إن البقر أمرنا ببيعه على يد عدلين وتجمع من ثمنه كذا وتولى قبضه رسولكم بأمرنا ، وإن أرسلتم بعده للبيع شيئا فليكن خطابكم في ذلك لوكيلكم وحاله في ذلك كعامة

1- الهادي محمد الشريف ، المرجع السابق ، ص ص 89 -90 .

2- أحمد بن أبي الضياف ، المصدر السابق ، ص 40 .

3- **أحمد الأصرم** : أصله من القيروان، ونسب بيتهم من قبائل الفتح اليمنية ، ترأس قلم الإنشاء وألقاب الوزارة ، ينظر ابن أبي الضياف ، المصدر السابق، ج 7 ، ص 51 .

4- أحمد ابن أبي الضياف ، المصدر السابق ، ، ج 3 ، ص 40 .

أهل البلد من غير فرق ، وقد كنا نرى أن فعلنا معكم سابقا ثمرة محبة ، وحيث رأيتموه واجبا فلا نسلم هذا الوجوب ، وأعلن الحرب ، وأخذ في إحضار موادها من العدد والعدة ، وأمر أهل الجزائر بالرجوع لوطنهم ... "[1].

غير أن هذه القطيعة التي عمد إليها باي تونس لم تكن بصورة نهائية ، بل إن حلقة التواصل الإقتصادي بين حكام الإيالتين ظلت مستمرة حتى في سنوات لاحقة من هذا الحدث ، ولكن ليس بنفس الحدة التي كانت عليها علاقاتهما سابقا [2].

أما ما تعلق بالنشاط التجاري على المستوى الشعبي ، فنلحظ أن منطقة بايلك الشرق بعاصمته قسنطينة[3] قد استحوذت على حصة الأسد في صلات الإيالة الجزائرية التجارية بتونس[4]، وذلك راجع لعدة اعتبارات منها :

- الصلات التاريخية التي كانت موجودة بينهما إبان العهد الحفصي ، حيث كانت قسنطينة خاضعة لتونس وولاتها يعينون من أفراد الأسرة الحاكمة فيها .
- التقارب الكبير بين قسنطينة والإيالة التونسية ، حيث تقع قسنطينة وما يضمه من مناطق شمالا وجنوبا في الحدود المتاخمة لتونس ، بل إن حدودها مفتوحة على الغرب التونسي[5] .

هذه الإعتبارات وغيرها هي التي أهلت قسنطينة لتكون ذات نصيب وافر وتقوم بنشاط كبير في هذا المجال .

ومع ذلك فقد تواصلت بين البلدين مناطق أخرى من الوطن ، ولكن ليس بنفس الحجم الذي شغلته قسنطينة التي كانت تسير قافلة بصفة شهرية نحو تونس مكونة من ثلاثمائة (300) بغل[6]، الشيء الذي يدل على كثافة حجم التواصل الإقتصادي مع تونس القائم على تجارة القوافل ، التي كانت أنشط من تجارة الموانئ ، والتي

1- أحمد بن أبي الضياف ، المصدر السابق ، ج 3 ، ص 41 .
2- كوثر العايب ، المرجع السابق ، 56 .
3- **قسنطينة** : يشمل الشرق القسنطيني الرقعة الجغرافية الواسعة التي كانت تمثل بايلك الشرق أو بايلك قسنطينة ، والتي تمتد من البحر شمالا إلى ما وراء بسكرة وواد سوف ، في حوض واد ريغ و إيغرغير جنوبا ، ومن الحدود التونسية شرقا إلى ما وراء إقليم نوغة وبرج حمزة البويرة ، وسفوح جبال جرجرة غربا ، ويحوي هذا الإقليم على جبال البيبان وحوض واد الصومام وجبال البابور وقسنطينة وعنابة وسوق أهراس ، وعلى السهول العليا القسنطينية ، وكتلة جبال الأوراس والنمامشة وتبسة وجبال الحضنة و جبال الزاب والزيبان ووحات واد سوف وورقلة وتقرت ...ينظر : محمد صالح العنتري ، المصدر السابق ، ص 27 .
4- عمار بن خروف ،العلاقات الإقتصادية والإجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب من القرن العاشر هجري إلى القرن السادس عشر ميلادي ، ج 2 ، دار الأمل للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2008، د ط ، ص 88 .
5- احميدة عميراوي ، المرجع السابق ، ص 12 .
6- محمد العربي الزبيري ، التجارة الخارجية ، المرجع السابق ، ص ص 152 – 153 .

تسيطر عليها الشركات الأجنبية ، وكان رأس المال المستعمل فيها يبلغ ثلاثة ملايين ، في حين تجارة القوافل مع تستعمل ستة ملايين[1] .

وكانت القوافل بين قسنطينة و تونس تنطلق من مراكز أساسية ، وتعود إليها مجددا ، وأهم هاته المراكز نجد إقليم الشرق الجزائري قسنطينة ، بما يضمه من مدن من الجنوب الجزائري تدخل في إطاره الإقليمي كمدينة الوادي[2] ، والمدن التي تجاورها كتقرت[3] وورقلة[4] ، وكانت هذه المراكز وما يقابلها في تونس على درجة عالية من الدقة والتنظيم ، حيث كان بمقدور التاجر أن يجد يوميا قافلة يسافر معها ذهابا وإيابا .

و تمثلت الصادرات الجزائرية التي كانت تحمل إلى تونس فيمايلي :

- التمور : وكانت مدينة الوادي تنتج من أنواعها الجيدة كميات هائلة ، لكونها تتوفر على أعداد هائلة من النخيل التي تصل إلى 150 ألف نخلة .
- التبغ بنوعيه الرطب و القوي : وتعتبر من أطيب الأنواع ، وأهم المحاصيل الجزائرية التي كانت تصدر بشكل كبير إلى تونس وحتى ليبيا[5] .
- المنتوجات الصوفية : من برانيس و جبب صوفية ، حيث كان لها سوق رائجة بتونس ، وتعتبر من الحرف المنزلية التي مارستها النساء الجزائريات من أجل إعانة أرباب بيوتهن[6] .
- الجلود المدبوغة : حيث كانت تدفع لها سنويا حوالي 82 ألف جلد مدبوغ .
- الشواشي الجزائرية : التي كانت تحظى بطلب كبير للإستعمال اليومي ، لكونها كانت أرخص سعرا من

1- محمد العربي الزبيري ، التجارة الخارجية ، المرجع السابق ، ص 152 .

2- **مدينة الوادي** :تسمية الوادي تسمية قديمة ، نسبة إلى واد الجردانية الذي يجري قديما في المنطقة ، ومازلت إلى الآن بعض مجاريه موجودة ، أما جغرافيا فإن إقليم وادي سوف يقع جنوب شرق الجزائر ، وينتمي إلى العرق الشرقي الكبير ، يحده شمالا بلاد الزاب ، ويمتد حتى جبال الأوراس والنمامشة ونقرين ، ويحده شرقا الحدود التونسية نفطة و نفزاوة مرروا ببير رومان حتى غدامس وجنوبا واحات غدامس وغربا واد ريغ ، ينظر:ابراهيم مياسي ، الإحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية ، ، دار هومة ، الجزائر، د ط ، 2005 ، ص 144 .

3- **تقرت** : مدينة بناهاالنوميديون على جبل في شكل نتوء يمر في سفحها نهر صغير يقطعه جسر متحرك كما يوجد ذلك في أبواب المدن ، وهي مسورة بسور من الطوب والطين ، ماعدا ما يقع منها على مقربة صخور تقوم بحمايتها ، وهي تبعد عن المتوسط بنحو 330 ميلا ، ينظر : حسن الوزان ، وصف افريقيا ، تر : محمد حجي ومحمد الأخضر ، ج2 ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 1983 ط2 ، ص 35 .

4- **ورقلة** : يسميها الوزان " وركلة " ، وهي مدينة عتيقة بناها البرابرة في صحراء نوميديا وأحاطوها بأسوار من الآجر ، وشيدوا فيها منازل جميلة ، يوجد بضواحيها كثير من النخل تخلله القصور المنيعة والقرى المحصنة ، ينظر حسن الوزان ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 136 .

5- محمد الطمار ، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، دط ، 1983 م ، ص 49 .

6- أحمد بن الطاهر منصوري ، الدر المرصوف في تاريخ سوف ، دار الهدى ، د م ن ، د س ن ، ص 52 .

الشواشي التونسية ذات الجودة العالية[1] .

- الشمع : حيث كانت القل تعد من أكبر منتجي الشمع ولهذا كانت الإيالة التونسية تستورد كميات معتبرة منه ، وذلك راجع لقرب الأسواق خاصة في ظل ارتفاع أسعارها مقارنة بأسعار الفرنسيين[2] .
- الذهب : خاصة أثناء احتياج العملة التونسية إليه في بدايات القرن السابع عشر .

كما استوردت تونس من الجزائر الحديد الصلب والسمن والجوز بالإضافة إلى المواشي ممثلة في الأنعام و الأبقار كما سبق الإشارة إليه[3].

1– 2 – الصادرات التونسية :

كان النشاط التجاري الذي ربط تونس ببايلك الشرق الجزائري على درجة كبيرة هو الآخر من النشاط والفاعلية ، لذلك حظيت تجارتها برواج كبير في هذا الإقليم ، الأمر الذي أدى إلى منافسة العملة التونسية للعملات المتداولة في الجزائر ، فقد سيطر الريال التونسي[4] على التعامل النقدي في قسنطينة بعد أن رفعت قيمته بزيادة وزنه فضة ، وارتفاع قدرته الشرائية بمقدار 85 % بعدما كانت 60 %[5].

ومن العوامل التي ساعدت على ازدهار العلاقات التجارية هو وجود مدينة الكاف سوق للتجارة وملجأ لكسب الثروة ومركز للتبادل التجاري[6] ، وتمثلت الصادرات التونسية في بعض المصنوعات الأوربية والعطور إضافة إلى القهوة والأقمشة والكبريت[7] ، ضف إلى ذلك بعض الألبسة الصوفية ، حيث نجد أن سكان تونس اشتهروا بصناعة نوع من النسيج أطلقوا عليه اسم الشاشية فكان مصدر رزق أساسي للكثير منهم ، هذا ما جعلها تمول السوق الجزائرية بالشاشية ، وبعض المنتوجات الأخرى[8] .

1- محمد العربي الزبيري ، التجارة الخارجية ، المرجع السابق ، ص 153 .
2- أسماء ناهي ، الإمتيازات الإقتصادية الفرنسية في الجزائر 1800 – 1830 م ، (مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر) ، جامعة خميس مليانة ، 2015 – 2016 م ، ص 41 .
3- كوثر العايب ، المرجع السابق ، ص 61 .
4- **الريال التونسي** : بلغت قيمته في نهاية القرن 18 م :كما تبينه إحدى الوثائق المحلية أنه يساوي تقريبا القرش العثماني ، ينظر ، نعيمة شابي ، العلاقات الجزائرية التونسية من خلال كتاب إتحاف أهل الزمان لابن أبي الضياف (1782 – 1872 م) ، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر ، 2013 -2014 م ، ص 72 .
5- احميدة عميرواي ، المرجع السابق ، ص ص 34 -35 .
6- نفسه ، ص 53 .
7- محمد العربي الزبيري ، التجارة الخارجية ، المرجع السابق ، ص 153 .
8- كحلي زبيدة و لزعر كنزة ، المرجع السابق ، ص 82.

كما شجع حمودة باشا التبادل التجاري بين تونس والجزائر بالرغم من المشاكل التي كانت قائمة بين البلدين ، حيث كانت تونس تستقبل بين الثماني والعشر قوافل تجارية سنويا من قسنطينة ثم أصبحت منذ سنة 1809 م ، تستقبل تلك القوافل شهريا لا سنويا[1]، ضف إلى هذا نجدها تصدر كميات كبيرة من الأسلحة والذخيرة إلى الجزائر فكانت ثروة تونس الحقيقية ما يخرج من أراضيها وتربتها الطيبة الخصبة بالنسبة لما جاورها ، كما اهتمت بتصدير نسيج جربة والجريد[2] .

2– المحطات والطرق التجارية :

نشط التبادل التجاري بين الإيالتين بسبب تواجد مسالك وطرق ساعدت على تنقل القوافل بين الدولتين بكل سهولة ، وذلك بتصدير واستيراد أهم المنتوجات المختلفة بينهما إلى الأسواق التجارية واستغلال قيمة المنتوج ونقله رغم الظروف الصعبة التي كانت تعيشها هذه القوافل في التنقل خلال الطريق فمتطلبات الأسواق التجارية وحاجة سكان المدن والريف جعلت منهم يتحدون هذه الصعوبات .

وقد انتشرت عدة محطات على تراب الإيالتين ثم تأخذ بعدها المنتوجات سبيلها إلى الأسواق المخصصة لهذا الغرض ، ومن هذه الطرق والمحطات نجد :

2–1 : طريق تونس : يبدأ من قسنطينة ، يسير نحو الجنوب ليصل إلى الخروب ثم إلى غاية الكاف إلى أن يصل العاصمة التونسية ، وتستغرق القافلة 25 يوما من السير العادي ليصل إلى المكان المحدد ، إلا أنها كانت تتوفر على جميع المرافق الضرورية لوصول القافلة بسلام رغم طول المسافة[3] .

2–2 : طريق قفصة ونفطة : يبدأ من الوادي ويمر عبر قمار[4] حتى قفصة ، فينقسم إلى فرعين : فرع يتجه مباشرة نحو نفطة[5] في حين يواصل الآخر سيره نحو الشمال الشرقي إلى قرية فرن[6] ، فينضم تجار الزيبان ، إلى القافلة ثم يميل نحو الشرق ليقف في مدينة قفصة[7] .

1- رشاد الإمام ، المرجع السابق ، ص 319 .

2- نعيمة شابي ، المرجع السابق ، ص ص 68 – 69 .

3- محمد العربي الزبيري ، التجارة الخارجية ، المرجع السابق ، ص 152 .

4- **قمار** : مدينة تقع على بعد حوالي 14 كلم من مدينة الوادي ، ينظر : نفسه ، ص 154 .

5- **نفطة** : هي عاصمة بلاد الجريد تشتمل على المدن التلية توزر ، الوديان والحامة ، جل سكانها من التجار والفلاحين ، ينظر : نفسه ، ص 154

6- **قرية فرن** : مدينة تقع بين الطريق الواسل بين الوادي وتبسة ، ينظر : نفسه ، ص 154 .

7- **قفصة** : مدينة تقع في بدايات الجنوب التونسي ، وهي من أهم المراكز التجارية ، ينظر : نفسه ، ص 154 .

2–3 : طريق نفطة وغدامس : ينطلق من تقرت عبر الفيض ، وينضم تجار بسكرة[1] لهم ليصل إلى كوينين[2] ، ويأخذ طريقين : واحد نحو نفطة مباشرة والآخر نحو الجنوب إلى سوق غدامس ، والطريق إلى نفطة يستغرق خمسة أيام من السير[3] .

2–4 : طريق غدامس : يخرج من ورقلة ويتوجه مباشرة نحو الشرق إلى أن يصل إلى مدينة غدامس وهو طريق صعب لكثرة الرمال المتحركة به ، ويلتقي بالماء مرة واحدة على بعد ثلاث أيام من المنطلق ، إلا أن ذلك لم يمنع التجار بالتنقل للوصول إلى الأسواق التي تلتقي بها قوافل المغرب الأقصى وتونس وطرابلس الغرب والسودان والجزائر ، ويتبادلون ما عندهم من سلع[4]عبر أربع محطات رئيسية تمتد من الساحل إلى الصحراء و تتمثل هذه النقاط في مدن عنابة والكاف وتبسة وواحة وادي سوف ، وتعتبر عنابة بوابة الشمال ووداي سوف بوابة الجنوب.

و تعترض التجارة عن طريق عنابة والكاف وتبسة صعوبات أمنية ناجمة عن القبائل التي تقطن الحدود والتي تعيش استقلالا شبه تام عن السلطة ، حيث تنتهز الفرصة لأخذ فدية من التجار الذين يجتازون الحدود في وضح النهار[5] .

3 – الأسواق التجارية :

كانت الأسواق في المدن أو الريف وأخرى يشرف عليها البايلك بغرض الحصول على الرسوم ، ويتم ذلك في الأسبوع أو السنة أي سنوية ، وازدهرت الأسواق السنوية بفضل قبائل الرحل التي تبادل منتوجاتهم القادمة من الجنوب و تونس وذلك برئاسة شيخ العرب[6] ومن الأسواق التي مزدهرة نذكر :

1- **بسكرة** : وتسمى الزيبان ، وهي مدينة جميلة ومن أشهر الواحات الشحراوية وتدعى أيضا ملكة الجنوب ، يقول الوزان انها مدينة عريقة في القدم ، تأسست زمن الاحتلال الروماني لبلاد المغرب القديم ، وخربت بعد ذلك ، وأعيد بناؤها بمجيء الفتح الاسلامي لبلاد المغرب الاسلامي ، ينظر : حسن الوزان ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 138 . وأيضا أمحمد توفيق المدني ، المرجع السابق ، ص 139 .

2- **كوينين** : قرية صغيرة تبعد عن مدينة الوادي بحوالي ميلين ونصف ، تقع في منتصف الطريق بين قمار و الوادي ، ينظر : محمد العربي الزبيري ، التجارة الخارجية ، المرجع السابق ، ص 146 .

3- نفسه ، ص ص 156 – 157 .

4- نفسه ، ص 157 .

5- كوثر العايب ، المرجع السابق ، ص 64 .

6- كحلي زبيدة و لزعر كنزة ، المرجع السابق ، ص 88 .

3–1 : سوق قسنطينة : يعتبر أكبر أسواق المنطقة في ذلك الحين ، يأتي إليه التجار من كل النواحي جالبين معهم المنتوجات الضرورية لسكانه ، وفي المقابل يحملون معهم مصنوعاتهم لبيعها في مدنهم وقراهم وحتى تصديرها إلى بلدان مجاورة كتونس ، ليستوردوا مكانها صناعات أخرى تدر عليهم أرباحا أوفر ، ولعبت قسنطينة دورا أساسيا في تنشيط التبادل التجاري الذي تعزز أكثر في عهد صالح باي (1771 – 1792 م) ، الذي عمد إلى تشجيع النشاط التجاري بجناحيه الداخلي والخارجي ، فتحولت المدينة على إثره إلى ملتقى القوافل التجارية القادمة من مختلف النواحي سواء من تونس وطرابلس وغدامس والمغرب الأقصى وبسكرة والجزائر ، وهذه القوافل كانت تضم أحيانا أكثر من مائتي (200) جمل تشحن ببضائع البايلك المختلفة : الزراعية منها والحيوانية والصناعية ، لتحول إلى مختلف الجهات الإفريقية وكذلك المشرق العربي أيضا[1] .

ويتضح لنا أن الخلافات بين حمودة باشا و بايات قسنطينة لم تقف حائلا أمام هذه الحركية التجارية بين المنطقتين ، وقدرت بضائع قافلة تونس سنة 1806 م بما لا يقل عن مائة ألف ريال تونسي ، أو ما يعادل خمسمائة وخمسة وثلاثون فرنك ذهبي[2] .

3–2 : سوق وادي سوف : تعتبر وادي سوف قبلة التجار من مختلف الجهات والواحات ، وتشتمل على الكثير من الحوانيت ، ومن أهم مواردها التمور والتبغ ، كما اشتهرت بصناعة المظلات من سعف النخيل والأقمشة الصوفية العادية ، وكان لاشتهار اهل الوادي بالمهارة في تسيير القوافل في الرمال المتحركة أن جعل من بلدهم همزة وصل بين الشمال والجنوب[3] .

3–3 : سوق ورقلة : تعتبر ورقلة بوابة الواحات الشرقية للجزائر ، وكان لها نشاط تجاري كبير في العهد العثماني ، فهي ملتقى التجار ومحطة للقوافل التي تعبر الصحراء وتربط أقاليم المغرب بوادي النيل والمشرق العربي وجهات التل بأقطار السودان[4] ، وكان تجار تونس يأتون إليها كي يعرضوا فيها سلعهم ، ويستبدلونها بالبضائع التي تأتي بها ورقلة من السودان[5] .

1- محمد صالح العنتري ، المصدر السابق ، ص 81 .

2- ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي ، الجزائر في التاريخ العهد العثماني ، ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، دط ، 1995 ، ص 72 .

3- محمد العربي الزبيري ، المرجع السابق ، ص 155 .

4- ناصر الدين سعيدوني ، ورقات جزائرية ، ، دار البصائر ، الجزائر ، ط 2 ، 2009 ، ص 46 .

5- مرمول كربخال ، إفريقيا ، تر : محمد حجي و آخرون ، ج 3 ، دار النشر المعرفية ، الرباط ، ، د ط ، 1989 ، ص 166 .

3–4 : **سوق تقرت** : هي ثالث الأسواق الهامة في الواحات بعد كل من الوادي و ورقلة وقد ساعدها في نشاطها التجاري توفرها على شبكة هامة من المواصلات والطرق التي لعبت دورا هاما في تنشيط المجال الإقتصادي والتجاري فيها ، وبما ان وادي ريغ[1] ينتج التمور بكثرة ويصنع الأقمشة الصوفية العادية ، فإن تجار تقرت يحملون إلى الجنوب التونسي بعضا من هذه المنتوجات والمصنوعات ويجلبون منها كثيرا من الأقمشة القطنية و العطور المستوردة من البلدان الأوربية ، ثم يباشرون توزيعها في الأسواق المحلية ، وقد كانت القوافل التجارية بين تقرت والجنوب التونسي تسير وفق نسق يومي[2] .

كما كانت هناك مدن أخرى كانت على صلة تجارية بالإيالة التونسية ، ولكن ليس بحجم قسنطينة وإقليم الواحات التابع لها ، ومن هذه المدن نجد : مدينة تميمون ، حيث كان يرتاد أسواقها أهل سوف و تقرت بني ميزاب وغدامس[3] ، ومدينة عنابة ، حيث يذكر " سبنسر " بأن ارتفاع حجم إنتاجها للحليب والزبدة لم يكن ليكفي حاجة قاطنيها فقط بل تجاوزوه لتغذية مدينة تونس وجزيرة جربة ، حيث يقول في هذا الشأن عن عنابة بأنه : " ... كان لها وطن سهلي يحتل المقام الأول من الإتساع والجود ، وهو يمدها بكمية كبيرة من الذرة التي تحمل لها ، فتتغذى الأبقار وما إليها والغنم والأنعام الأخرى ، وبهذا الإنتاج البهيج فليست مدينة عنابة وحدها هي التي تتزود بالحليب والزبدة ولكن مدينة تونس وجزيرة جربة ... "[4] ، وهناك مدينة جيجل التي كان تجارها يترددون باستمرار على مدينتي الجزائر وتونس بغية تصدير إنتاج إقليمها من الجلد والشمع والزيت[5] .

1- **وادي ريغ** :يقع غربي وادي سوف على بعد 95 كلم ، ويشتمل على مدن وقرى وواحات : كالمغير وغلانة ، تامغنة ، مقار ، المقرين ، تماسين ، القوق ، ينظر أحمد توفيق المدني ، المرجع السابق ، ص 142 .

2- محمد العربي الزبيري ، التجارة الخارجية ، المرجع السابق ، ص ص 156 – 157 .

3- كوثر العايب ، المرجع السابق ، ص 66 .

4- وليام سبنسر ، المصدر السابق ، ص 140 .

5- ناصر الدين سعيدوني و المهدي بوعبدلي ، المرجع السابق ، ص 50 .

الفصل الثاني : العلاقات التجارية ، الإجتماعية و الثقافية بين الإيالتين

(1782 –1814 م)

المبحث الثاني: مظاهر الروابط الإجتماعية والتواصل الثقافي بين الإيالتين (1782 – 1814 م).

1– مظاهر الروابط الإجتماعية بين الإيالتين .

1–1– دور القبائل في التأثير على السلطة في الإيالتين .

1–2– دور المصاهرة والهجرة في تقريب سكان الإيالتين .

1–2–1– المصاهـــــــرة .

1–2–2– الهجـــــــــرة .

2– مظاهر التواصل الثقافي بين الإيالتين .

2–1– زيارة العلماء من الجزائر إلى تونس والعكس .

2–2– التواصل الصوفي بين الإيالتين .

المبحث الثاني : مظاهر الروابط الإجتماعية و التواصل الثقافي بين الإيالتين :

1- مظاهر الروابط الإجتماعية بين الإيالتين :

تمثل الروابط الإجتماعية إحدى صور التواصل بين الإيالتين المعبرة لنا عن مدى الإحتكاك الإيجابي الذي كان بين الشعبين الجزائري والتونسي بغض النظر عن مدى تأثيره على سلطتيهما ، والذي كانت له تداعيات ومظاهر عديدة ، نذكر منها :

1-1- دور القبائل في التأثير على السلطة في الإيالتين :

عرفت الحدود الجزائرية التونسية ابتداء من القرن 18 م عدم الإستقرار ، وتجلى ذلك في الصراعات القائمة بينهما من حين لآخر وخاصة بين القبائل القاطنة على الحدود ، فتارة من الجانب الجزائري وتارة من الجانب التونسي ، كانت تعيش هذه القبائل في الغابات الشاسعة المستقلة ، تعتمد على تربية الحيوانات وممارسة الزراعة ، وفي غالب الأحيان كانت تخضع لإيالة الجزائر مدة من الزمن ، ثم تتمرد عليها وتقدم ولائها لحكام إيالة تونس ، وأحيانا أخرى ترفض الخضوع لكلا الإيالتين وتعتصم بالمناطق الجبلية منها قبائل الحمير ، القاطنة في المناطق الجبلية غرب باجة وطبرقة ، ويعود السبب في ذلك إلى رفضها دفع الضرائب ، كما وجدت قبائل أخرى[1] استقرت على خط الطول الممتد من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي[2] ، هذه القبائل كان لها تأثير كبير خاصة قبيلة الحنانشة[3] ، التي شكلت تحركاتها ضغط مستمر على حكام إيالة الجزائر وتونس ، وكانت تحتل المرتبة الثالثة في المنطقة بعد كل من قوة باي قسنطينة وباي تونس .

1- نذكر من هذه القبائل : قبيلة بنو مازن واولاد علي والمرازنة وقبيلة الوشلاطة و قبيلة اولاد سديرة ومن قبائل الحدود ايضا : اولاد منصور وقبائل النهد ، كانت في معظمها تميل الى العيش شبه مستقلة ، حيث سمح لها بعدها عن مركزي الحكمين الجزائري والتونسي التملص من الخضوع لأحدهما وقد كانت تتعرض من وقت لآخر لغزو باي تونس تارة وباي قسنطينة تارة اخرى من اجل عدم دفع الضرائب ، ينظر : حصام صورية ، المرجع السابق ، ص ص 165 – 166 .

2- نفسه ، ص 165 .

3- **قبيلة الحنانشة** : تتشكل من ثلاث فروع رئيسية : الشاوية وهم بربر الأوراس من هوارة والحراكتة وبني بربار والنمامشة ، هوارة و إخوانهم أداسة : وهم فرعان لشعب زناتة وهم من سكان طرابلس الغرب وتحول بعضهم إلى المغرب الأقصى مع الفتح الاسلامي ، عرب بني هلال وبني سليم : الذين قدموا إبان الزحف الهلالي على بلاد المغرب الاسلامي في القرن الخامس هجري ، العاشر ميلادي ، و أصل قبيلة الحنانشة هم الذين يعرفون باحرار الحنانشة ، اما بقية الفروع سميت بالحنانشة اما بالحلف او الموطن ، وجغرافيا يمتد نفوذها من تبسة الى سوق اهراس ثم الى عنابة ومنها الى قلعة سنان وجبال مسيد الى جنوب وادي مجردة والى جبل قلالة ودقمة وسلسلة الكاف مسخوط الزعرورية وجبل تليس ، في مساحة شاسعة تمتد بين حدود البلدين ، و قد أقرت معاهدة 1628 م المبرمة بين الايالتين ان ما كان من غربي وادي سيراط فهو لعمالة الجزائر ، وعليه تكون هذه القبيلة جزائرية ، ينظر : احميدة عميراوي ، المرجع السابق ، ص 25 .

ولقد كان وراء التأثير البالغ لهذه القبيلة على السلطتين العديد من العوامل التي مكنتها من لعب هذا الدور بفاعلية كبيرة من أهمها :

- تربعها على مساحة شاسعة من الأراضي الممتدة على حدود الإيالتين (يمتد نفوذ هذه القبيلة من تبسة إلى سوق أهراس ثم إلى عنابة ومنها إلى قلعة سنان وجبال مسيد إلى جنوب وادي مجردة ، وإلى جبل قلالة ودقمة وسلسلة الكاف مسخوط الزعرورية وجبل تليس ، في مساحة شاسعة تمتد على حدود البلدين .
- تمتعها بنفوذ قوي ، حيث كان شيخ القبيلة يحظى بمكانة مرموقة تضاهي مكانة الباي أحيانا ، فقد كانت له امتيازات تتمثل في حرية جباية الضرائب والتصرف بها دون مراقب ، مع حرية الإشراف الإداري وقت السلم ، فضلا عن امتلاكه قوة عسكرية[1] .
- لجوؤها إلى عامل المصاهرة ، وهو عامل جد مهم مكنها من تدعيم نفوذها أكثر ، كذلك الزواج الذي جمع علي باي بابنة الشيخ منصر[2] .
- قيامها بسياسة عقد أحلاف مع أهم الطرق والقبائل كحلفها مع الشابية والنمامشة[3] ، وهذا الإجراء جاء من أجل توسيع دائرة نفوذها و قوتها وللحصول على أنصار وأتباع بشكل أكبر .
- شغلها مركز استقطاب للقبائل المجاورة لها كأولاد شارن ، وأولاد بوغانم ، والفراشيش ، وأيضا أسر كبني معمري و أولاد علي وبني ونداي و توبسة و أولاد سلام وبني سقوال وبني منالله[4] .
- قوتها العددية ، حيث كان بإمكانها تجنيد ما يفوق ثمانية آلاف فارس ، وهذا العامل على وجه الخصوص على خلاف بقية العوامل السابقة كان من أهم الأوتار التي استقطبت سلطتي الإيالتين ، بل وجعلتهما تتنافسان حول الظفر بدعمها خاصة في فترات الحروب .

و قد قامت القبيلة بالتعاون مع الأتراك ، إذ بفضلها تمكن باي قسنطينة من بسط نفوذه على المناطق التخومية مع تونس في أحد الفترات ، ثم ما تلبث أن توالي تونس و تأتي ضد الجزائر[5].

1- احميدة عميراوي ، المرجع السابق ، ص ص 25 – 26 .

2- محمد الصغير بن يوسف ، المصدر السابق ، ص 123 .

3- **قبيلة النمامشة** : وردت في كتاب تاريخ العدواني باسم اللمامشة وقال عنهم والده جالوت وتفرق الحال من نفذ من سبق في علم الله آخرهم من نفزاوة في جبل الملاهي وكثر رجالهم وكانوا أربعين قبيلة و لا يزالون يختارون البقاع ، نزلوا بموضع قسنطينة فكانوا بها امراء ثم اتلف رأيهم ، ويتكونون من ثلاثة عشائر كبرى برارشة وعلاونة واولاد رشاش ، و كانوا يتمركزون في اقليم واسع يمتد ما بين خنشلة وتبسة ويصلون حتى وادي سوف ينظر : محمد بن عمر العدواني ، تح و تق و تع : أبو القاسم سعد الله ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، ط2 ، 2005 ، ص 303

4- احميدة عميراوي ، المرجع السابق ، ص 26 .

5- كوثر العايب ، المرجع السابق ، ص 72 .

كما لا ننسى ذكر القبائل التونسية واعتدائها على أعراش تبسة ، ولقد تكررت تجاوزات القبائل الحدودية ، وأضحت تحدث بصورة شبه دائمة ، حيث لم تمنع حتى فترة الإحتلال الفرنسي للجزائر من استمرار هذه التجاوزات ، وتتحول خلافات القبائل مع السلطة لولاء وتقرب للسلطة الأخرى[1] .

1–2 – دور المصاهرة والهجرة في تقريب سكان الإيالتين :

1–2–1 – المصاهـــــــرة :

تترجمت العلاقات الإجتماعية بين سكان الإيالتين بصور أخرى تظهر مدى التواصل والترابط القائم بين شعبي الإيالتين الذي تمتن وتوطد أكثر بفعل رابطة الدم التي مزجتهما ، وبالأخص عند سكان الحدود فيما يعرف بظاهرة المصاهرة التي وجدت إلى درجة القول بأولاد كذا التي تشير إلى وطن هذه الأسرة أو تلك المنتشرة في البلدين كأولاد يعقوب ، و أولاد مومن و أولاد رضوان وأولاد سيدي عبيد ، وبنو سليم و شتاتة[2] .

و كنموذج عن المصاهرة منطقة وادي سوف ، حيث نجد أن الأسر والعائلات تعود أصولها إلى الإتحاد الكائن بين سكان المنطقتين (الجزائر وتونس) وقدوم بعض الأسر من الجنوب التونسي وامتزاجهم بأهل وادي سوف ، والعكس نجد قرى تونسية يعود أصولها إلى الأسر الجزائرية ، وقد ارتبطت بعلاقات مصاهرة بالإضافة إلى علاقات التحالف والمصالح المشتركة ومثال ذلك قبائل الشابية والهمامة والسوافة وطرود والنمامشة ، وقبيلة أولاد سيدي عبيد مزدوجة الإنتماء حيث تقطن أجزاء منها في تونس والأخرى في الجزائر ، وقد لعبت أدوار مهمة في تاريخ البلدين وسعيها في إصلاح ذات البين وتخفيف حدة الشقاق بين القبائل الحدودية سيما النمامشة والهمامة والفراشيش التي كانت تعيش حالة من السلب و النهب[3] .

كما وجدت في الجزائر قبائل ذات أصول تونسية كالعبادنة و الخنافسة ، وتبقى الزيجات السياسية التي جمعت بعض الفئات من البلدين تندرج ضمن هذا السياق كذلك ، وقد جاءت لتوسيع دائرة النفوذ ولزيادة حجم الدعم المادي والعسكري لتحقيق أهداف مشتركة لكلا الطرفين المتحدين عبر هذا المظهر كالزواج الذي جمع بين علي باي وابنة منصر شيخ الحنانشة .

1- كوثر العايب ، المرجع السابق ، ص 75 .
2- احميدة عميراوي ، المرجع السابق ، ص 61 .
3- كوثر العايب ، المرجع السابق ، ص ص 77 – 79 .

1-2-2 – الهجـــــــــرة :

كانت الصلات الإجتماعية بين الإيالتين منذ دخول العثمانيين إلى الشمال الإفريقي متواصلة متمثلة في تلك الهجرات بين سكان المنطقتين التي زادت في تمسك هذا المجتمع مع بعضه البعض ، فقد تواجدت شبه حركية إن صح القول من بعض القبائل والأسر والأفراد عن طريق تنقلاتهم بين الإيالتين ، والتي نجد لها نموذجا في هجرة بعض الفئات العمالية الجزائرية نحو تونس كهجرة بعض الأفراد من مدن جزائرية عديدة كمستغانم وقسنطينة و وهران و زواوة وتلمسان ...[1] ، ويعتبر بني ميزاب من أكثر المهاجرين الجزائريين نحو تونس خاصة من قرى غرداية والقرارة وبني يزقن ، وقد دفعت هولاء المعيشة الصعبة التي كانوا يعانونها في وطنهم نتيجة ضعف المردودية الفلاحية جراء إنهاك الأرض ، بالإضافة إلى مشكل الري ، وبالتالي فقد هاجروا إلى تونس التي استقروا فيها بالعاصمة و جربة[2] ، واشتغل بقية العمال من المدن الأخرى في قطاعات الجلد ، والإكساء ، الأسلحة النارية و حرفة النحايسية ، وبرعوا في صناعة الجلد لكنهم نبغوا أكثر في الخياطة التي كانت أساسا ذات أصل جزائري ، وبالأخص أهل الشرق الجزائري من منطقتي عنابة وقسنطينة[3] .

كما وجدت فئات جزائرية شغلت مناصب سامية في الإيالة التونسية ، والعكس وجدت فئات تونسية تقلدوا مناصب سامية في الجزائر ، ووفد إلى مدينة الجزائر جماعة من أهل جربة منذ القرن السادس عشر م ، حيث وجد زقاق عرف باسمهم " زنقة الجرابة " ، وتراوح نشاطهم ما بين تجار وباعة متجولون وعددهم آنذاك ثلاثمائة أسرة بين المقبلين والمغادرين ، وكان بحوزتهم ست أو ثمان سفن يتاجرون بها بين جربة والإسكندرية وتونس وطرابلس والجزائر[4] .

ولجأ للجزائر أيضا شخصيات معارضة للسلطة التونسية كـ " محمد بن عمار الفرجاني " الذي قاد حركة معارضة ضد السلطة التونسية سنة 1812، ودخل أرض الجزائر بعد السماح له من باي قسنطينة[5].

أما فيما يتعلق بهجرة القبائل ، فالواضح أنها جاءت كردة فعل ضد التعسف الضريبي المسلط عليها فكانت هجرتها إذن فرارا من الإلتزامات ، ثم إن حركة هجرة القبائل كانت من أسباب توتر العلاقات السياسية بين الإيالتين

1- كريم بن يدر ، الحرف والحرفيون بمدينة تونس خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، رسالة ماجيستير ،عبد الحميد لرقش، جامعة تونس ، 2004 – 2005 م ، ص 255 .

2- يوسف بن بكر الحاج سعيد ، تاريخ بني ميزاب _ دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية ، الطباعة الشعبية للجيش ، الجزائر، د ط ، 2007 م ، ص 47 .

3- كريم بن يدر ، المرجع السابق ، ص 122 .

4- أمين محرز ، المرجع السابق ، ص 157 .

5- كوثر العايب ، المرجع السابق ، ص 81 .

لارتباطها الوثيق بحماية الحدود التي هي مظهر أساسي من مظاهر السلطة في الإيالتين على السواء ، ومن أمثلة ذلك اقتحام بعض القبائل التونسية حدود الجزائر من جهة تبسة في عهد صالح باي قسنطينة (1771 – 1792 م) ، فقد دخلت إليها فارة من قوات علي باي ، فاختارت الجزائر مستقرا لها ووافق صالح باي على مطلبها في التوطن في أرض الجزائر ، لكنه في المقابل طالب بل وأصر على علي باي بدفع التعويضات للأضرار التي خلفها قائده حسان الكبير إثر ملاحقته لهذه القبائل وحدد قيمة التعويضات بأربعين ألف سكوين ، غير أن حمودة باشا رفض وامتنع واحتج لدى الداي محمد عثمان ، وقاد في المقابل من ذلك قواته إلى الجريد كي يفاجئ هذه القبائل ويعاقبها ، لكن صالح باي وقف له بالمرصاد ، الأمر الذي دفع حمودة باشا بقبول دفع التعويضات المترتبة عليه لأن تونس آنذاك كانت تعيش في وضع محرج نتيجة خلافها مع البندقية ، وفي الأخير دفع خمس وعشرون سكوين لصالح هذه القبيلة[1] .

ليتجدد النزاع مرة أخرى بينهما سنة 1787 م ، إثر فرار قبائل من الشرق الجزائري خاصة قسنطينة نحو تونس تملصا من دفع الضرائب لعمال صالح باي ، وهنا وجه صالح باي أصابع الإتهام لحمودة باشا ، بل اعتبره وراء تحريض هذه القبائل للتمرد على السلطة ودفعها نحو الهجرة إلى إيالته ، فما كان منه إلا أن جهز جيشا قوامه ستة آلاف مقاتل لمحاربته ، ليستعد له في المقابل حمودة باشا بجيش هو الآخر تعداده خمسة آلاف مقاتل بالإضافة إلى عدد من الفرسان ، ولكن وضع تونس المضطرب مجددا أجبره على الانصياع والقبول بدفع التعويضات بدل الدخول في حرب من شأنها أن تزيد أوضاع البلاد سوء أكثر مما هي عليه[2] .

و قد هاجر كثير من أهل تونس إلى واد سوف بسبب الظروف التي كان يعانيها ومنها الخلافات التي شهدتها بلادهم حول السلطة ، فاستقروا بالمناطق الجزائرية وتزوجوا منهم ،كما هاجروا من الأراضي التونسية قبائل أخرى إلى الجزائر منهم قبائل الجريد حيث ظلت تجول ذهابا وإيابا بين منطقة الجريد بإيالة تونس وصحراء إيالة الجزائر بسبب الضغوطات التي كانت تتعرض لها من قبل الحكمين التونسي والجزائري[3] .

و قد تميزت جهة الكاف باستقطابها لأعداد هامة من المهاجرين الجزائريين ، ويعود ذلك للأسباب التالية :

- القرب الجغرافي للجهة من الجزائر لذلك كانت أقرب إليهم للإستقرار خاصة في ظل وجود علاقات تاريخية .
- وحدة اللغة واللهجة بالنسبة للمهاجرين وسكان الجهة وعدم رفض السلطات التونسية لدخولهم باعتبارهم

1- محمد صالح العنتري ، المصدر السابق ، ص 80 .
2- ناصر الدين سعيدوني ، ورقات جزائرية ، المرجع السابق ، ص ص 244 – 245 .
3- حصام صورية ، المرجع السابق ، ص ص 166 – 167 .

مسلمين دخلوا بلد مسلم .

- وجود طرق دينية بالجهة تستمد جذورها من أصل جزائري كالطريقة الرحمانية .

لذلك تضافرت هذه العوامل لضمان عيش المهاجرين و استقطابهم خاصة و أن الزراعة ركيزة الإقتصاد بالجهة لا تزال تعتمد على المجهود البشري[1] .

وكان من نتائج وانعكاسات هذه العلاقة وجود تشابه وتجانس كبير بين سكان الإيالتين في جل العادات والتقاليد تقريبا خاصة بين سكان الإقليم الشرقي للجزائر والجنوب التونسي وذلك لعدة اعتبارات منها : القرب الجغرافي بين الإيالتين ، وانفتاح الحدود على بعضهما ، فرغم المعاهدات التي أبرمت في هذا الشأن ، لكنها لم تقف حائلا أمام تنقل السكان من وإلى الإيالة الأخرى[2] ، بالإضافة إلى الزيارات والرحلات العلمية والهجرات المتبادلة بين سكان المنطقتين ، دون أن نغفل دور المبادلات التجارية في تقريب شعبي الإيالتين .

فهذه الإعتبارات وغيرها هي التي ولدت الإحتكاك الإيجابي بين سكان الإيالتين ، والذي أعطانا بدوره نموذجا مشتركا من العادات والتقاليد والأعراف، وساعد على الهجرة بين الطرفين ، وتجلى ذلك في عدة مظاهر منها :

- المأكل وأصناف الأطعمة الغذائية : كالتشابه الحاصل في وجبة الكسكس ، الذي يعتبر من أشهر المأكولات التي تتميز بها منطقة المغرب العربي ككل .
- التشابه في الملبس : سواء من حيث المسميات أو مواد صنع هاته الألبسة و مثال ذلك القشابية و الشاشية ، ولباس الحايك و الملايات ... الخ.
- التشابه في أعراف و تقاليد الزواج : مثل بعث الأهل لخطبة العروس ، وعقد القران ويتم في الغالب في أحد المساجد ، وإقامة الحفلات والولائم التي يحضرها أهل وأحباب العريس ، وتقرع الدفوف ويدوي فيها البارود في وسط بهيج إلى غاية زفاف العروس إلى بيت زوجها .
- التشابه في أعراف زيارات أضرحة الأولياء وحفلات الزرد التي تقام على شرف مؤسسي بعض الزوايا ، خاصة عند القبائل ذات الأصل الواحد كأولاد سيدي عبيد المنتشرين على تراب الإيالتين ، حيث كانوا على تردد مستمر للمزارات والأضرحة الموجودة في البلدين ، ويتشاركون مع بعضهم هذه الإحتفالات التي تقام في مواسم معينة من السنة[3] .

1- يوسف الجفالي ، الجالية الجزائرية بجهة الكاف من (1831 _ 1837) ، مذكرة لنيل شهادة الكفاءة في البحث ، المكاوي القسنطيني ، جامعة تونس الاولى ، 1992 _ 1993 م ، ص ص 32 _ 33 .

2- احميدة عميراوي ، المرجع السابق ، ص 49 .

3- كوثر العايب ، المرجع السابق ، ص ص 85 – 87 .

2- مظاهر التواصل الثقافي بين الإيالتين :

تنوعت مظاهر التواصل الثقافي بين الإيالتين في عهد حمودة باشا الحسيني على الرغم من الخلافات التي كانت قائمة بينهما ، ويمكن حصرها فيمايلي :

2-1- زيارة العلماء من الجزائر إلى تونس والعكس :

إن مظاهر الصراع التونسي الجزائر كان بمثابة الحدة التي وصل إليها كل من الإيالتين ، إلا أن الجانب الثقافي لم ينقطع بينهما ، وحتى حمودة باشا نفسه كان محبا للعلم ، فرغم مصاريف الحرب إلا أنه كان دائما يقدم إعانات للعلماء وطلبة العلم ، وقد وردت في خزينة وثائق الدولة التونسية قائمة بالرواتب التي كان يدفعها حمودة باشا للعلماء والطلبة[1] ، وهذا ما زادهم تشجيعا في رحلاتهم وتنقلاتهم من تونس إلى الجزائر والعكس كذلك ، حيث تنقل العديد من العلماء والجزائريين إلى تونس من أجل نيل حظهم من العلم في هذه الفترة وابتعادا عن السياسة و جوها المكهرب .

ومن الأمثلة عن الزيارات التي عرفتها تونس من طرف علماء الجزائر لدينا علي الجزيري وهو يعود بأصوله إلى الجزائر ، وله باع في العلم حيث بقي هناك ، وتقلد الخطط النبيهة كالأعراض وداء الجلد... [2] .

لدينا كذلك أبو زكريا يحي بن صالح الأفضلي (1708 – 1808 م) المولود ببني يزقن ، وهو من علمائها ، بحيث تعلم على يد علماء جربة الذي أخذ عنهم العلوم العربية والدين[3] ، والعالم أحمد بن سعيد العباسي الملقب بأبو العباس الذي تبحر في علوم البلاغة والبيان وسير الرجال والمنطق والكلام ، وكان كثير التردد على تونس رغم المخاطر التي كانت بين تونس وقسنطينة ، وقال فيه صاحب كتاب تعريف الخلف برجال السلف : " ... أخذ عن الشيخ حسين الشريف خطيب جامع الزيتونة وغيره ، تولى القضاء مرتين وولي النظر في الأوقاف "[4] ، وحسب تولي حسين الشريف الخطابة فتكون السنة في 1812 م أي في أواخر حكم حمودة باشا ، وبقي العباسي يؤدي دورا كبيرا في تونس إلى أن وافته المنية سنة 1836 م[5] .

1- رشاد الإمام ، المرجع السابق ، ص ص 355 – 354 .
2- أحمد بن أبي الضياف ، ج 3 ، المصدر السابق ، ص 37 .
3- نعيمة شابي ، المرجع السابق ، ص 75 .
4- عادل نويهض ، معجم اعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر ، مؤسسة نويهض الثقافية ، بيروت ، ط2، 1980 ، ص 214 .
5- عيسى جمال بن احمد ، محمد مكحلي ، "الصراع السياسي بين تونس والجزائر خلال حكم حمودة باشا (1782 – 1814) ، وملامح التواصل الثقافي بينهما "، مجلة آفاق فكرية ، مج : 09 ، ع : 03 ، سيدي بلعباس ، الجزائر ، 2021 ، ص 421 .

وكان من أهم زيارة العلماء الجزائريين إلى تونس نجد زيارة أبو راس الناصري إلى تونس ، أو كما سماها بزيارة أم البلاد ، وقد ناظر العديد من علمائها كالشيخ السيد محمد بن حجوب ذي العلم الغزير والرأي الأثير ، وكان صاحب عزم وحزم ، وحتى أن الشيخ أبو راس الناصري سمع اهل تونس ينادونه بمالك الأصغر[1] ، كما أنه تأثر كثيرا بالشيخ إبراهيم الرياحي ، هذا الأخير الذي بعثه حمودة باشا سفيرا للمغرب على عهد أبي الربيع سليمان بن محمد بن عبد الله بن اسماعيل ، وذلك بغرض جلب الميرة لهذه الإيالة ، وذلك سنة 1218 هـ[2]. ، وحتى أن الباي حمودة باشا لما سمع بقدوم الشيخ أبو راس الناصري بعث إليه بالقدوم عنده ، وقال عن ذلك أبو راس الناصري : "... ولما رآني فرح بي وأجلسني و أكرمني برد الله ضريحه وأسكنه من الجنان ... ثم سألني عن أشياء عديدة ... منها عن قسنطينة ، فأجبت بأن صاحب القاموس قال فيها : حصن من حصون إفريقية ... "[3] ، ومغزى الكلام أنه على الرغم من الصراع والكره للسلطة في الجزائر من طرف حمودة باشا فإن هذا الأخير كان دائما يبقي على احترام العالم والعلم وما تعلمه من أبيه ، والدليل على ما لقيه أبو راس الناصري من حفاوة من قبله[4] .

إن النشاط العلمي لطلبة وعلماء تونس الذين حطت بهم رحالهم العلمية في الجزائر دفعتهم دوافع عديدة بمقاصد مختلفة للنزول بالحواضر الجزائرية ، والأخذ عن علمائها[5] ، ومن أمثال ذلك الشيخ علي نفطي التونسي الذي أدى دورا في الحركة الدينية بمنطقة جنوب الأوراس بالجزائر إلى أن وافته المنية ودفن بقرية غوفي في نفس المنطقة سنة 1792 م ، إضافة إلى زيارة العلامة إبراهيم الرياحي الفقيه والرحالة والدبلوماسي الذي زار الجزائر صحبة الشيخ الطاهر بن الصادق ، وقد حظي بترحاب مميز خاصة من قبل أهل وادي سوف وتماسين[6] .

وهذا الترحال بين الإيالتين التونسية والجزائرية ينافي تماما الصراع السياسي السلطوي ، ويعزز مكانة شعبين جمعتهما روح العلم والثقافة ولم تفرقهما الحروب السياسية .

1- أبو راس الناصري ، فتح الإله ومتنه في التحدث بفضل ربي و نعمته ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1982 ، ص ص 109 ، 110 .
2- أحمد بن أبي الضياف ، المصدر السابق ، ص 74 .
3- أبو راس الناصري ، المصدر السابق ، ص 115 .
4- عيسى جمال بن أحمد ، محمد مكحلي ، المرجع السابق ، ص 421 .
5- كوثر العايب ، المرجع السابق ، ص 96 .
6- الطيب يوسفي ، العلاقات العلمية بين الجزائر وتونس خلال العهد العثماني ، رسائل أئمة التيجانية إلى أعيان الجنوب التونسي انموذجا ، اطروحة دكتوراه ، جامعة الجيلالي اليابس ، سيدي بلعباس ، 2019 – 2020 ، ص 159 .

2-2- التواصل الصوفي بين الإيالتين :

بقدر ما كثر إنتاج العلماء ، بقدر ما سيطرت روح التصوف على الحياة العلمية و الإجتماعية في الجزائر[1] ، وانتقلت إلى تونس والعكس تماما ، ومن بين الطرق الصوفية التي ظهرت في الجزائر وانتقلت إلى تونس الطريقة الرحمانية التي تنتسب إلى محمد عبد الرحمان القشتولي الجزائري المولود حوالي 1720 م ، حيث اكتسب الطريقة في الشرق وعاد إلى الجزائر في سنة 1769 م ، و أسس زاويته بمسقط رأسه ، وبقي فيها إلى أن توفي سنة 1793 م ، وقام بتعيين مصطفى الطرابلسي أحد أتباعه لنشرها في تونس وذلك في زمن والده حمودة باشا ، ثم في عهده عين أحمد بن علي بوحجر الذي تمكن من بث أصول الطريقة بنجاح في الوسط التونسي ، وأسس زاوية الكاف سنة 1784 م[2] ، وهذا دلالة على اهتمام حمودة باشا بالطريقة الرحمانية القادمة أصولها من الجزائر ، إضافة إلى الطريقة التيجانية التي تنتسب إلى مؤسسها أحمد التيجاني ، وانتقلت إلى تونس بعد تأثر الشيخ إبراهيم الرياحي، حيث أصبح أول من تلقى الطريقة ونشرها بحاضرة تونس ، وأقام أورادها ووظائفها ، وكانت زاويته قرب حوانيت عاشور كأول زاوية له[3] .

كما كان للطرق الصوفية التي نشأت بتونس دورا مهما في إحداث التواصل مع الجزائر ، وكان أهمها الطريقة القادرية ، والتي سميت هكذا نسبة إلى مؤسسها الأول عبد القادر الجيلالي ، والبارز في تاريخها هو دخولها البلاد التونسية مبكرا ، وبقيت هكذا إلى ظهور الشيخ محمد الإمام المنزلي، والذي أتم أول زاوية له بمنزل بوزلفة بمعونة حمودة باشا الذي اعتبر من أوائل أتباعها[4] .

وانتشرت هذه الطريقة في الجنوب الشرقي الجزائري بعد أن أصبح أتباعها من الجزائر يكونون زاوية ، تنقص المشقة عن تنقلهم إلى زاوية بوزلفة[5] ، وهذا التواصل هو الذي أثر على الحدود ، حيث أصبح سكان الحدود لا يأبهون للحدود السياسية ، لأن الإيالتين كانتا مشتركتين في نمط ثقافي واحد ، وقد تفرعت عن القادرية كذلك الطريقة الشابية بتونس ، والتي انتشر أتباعها في شرق الجزائر كعنابة وخنشلة وسوق أهراس ... ، وهذا يؤكد على أن الحرب لم تكن سببيلا لغلق انتشار الطابع الثقافي بين الإيالتين[6] .

1- أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 2 ، المرجع السابق ، ص 111 .
2- كوثر العايب ، المرجع السابق ، ص ص 106 – 107 .
3- التليلي العجيلي ، الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية (1881 _ 1939) ،منشورات كلية الآداب منوبة ، تونس ، 1992 م ، ص ص 43 _ 44 .
4- نفسه ، ص ص 39 _ 40 .
5- نعيمة شابي ، المرجع السابق ، ص 81 .
6- حصام صورية ، المرجع السابق ، ص 130 .

وقد قام حمدان بن عثمان خوجة بتوضيح في كتابه المرآة بأن هذه الحروب و الصراعات العسكرية والسياسية لم تؤثر في الجانب الثقافي وحتى الإجتماعي ، فيقول في هذا الشأن : " ... تم غزو تونس إحدى عشر مرة منذ أن استقل الأتراك ، وفي جميع هذه الغزوات لم تنتهك ولو مرة واحدة مبادئ الحرب ومبادئ حقوق الإنسان ، ومعنى ذلك أن هذه الحروب لم تكن من أجل التنافس على السلطة ، ولقد كان الغالب يدخل تونس منتصرا فيخلع الباي الحاكم ، و ينصب الباي الجديد ثم يقدم معه معاهدات فيها منافع للجزائر وإذلال للمغلوبين ، ولم يحاول الغالبون ولو مرة الاستيلاء على تونس ... ولم يتسببوا أيضا في قلب النظام الإجتماعي ، وإنما كانوا يغادرون البلاد بعد إبرام المعاهدات مباشرة ... "[1] .

يدل كلام حمدان بن عثمان خوجة أن السلطة السياسية الجزائرية في حروبها مع تونس كانت تحترم الشعب وطبقة العلماء على الخصوص ورجال الصوفية والزوايا ، وكانت تقدم لهم كل التسهيلات ، ونفس الشيء كان يقوم به حمودة باشا الحسيني خلال حكمه الذي كان أطول بكثير من عهد أسلافه خاصة من حيث النجاحات التي حققها[2] .

وإذا كان حمودة باشا في صراع تام مع السلطة الجزائرية ، فإن التوافق الثقافي والعلمي والصوفي قد أسهم كثيرا فيه و كان داعما له ، وحتى علماء الجزائر كانوا يتنقلون إلى جامع الزيتونة والعديد من الحواضر التونسية ، ويتلقون أفضل الترحاب ، ونفس الشيء لعلماء تونس ورجال الزوايا ، وقد كانت السلطة الجزائرية تبدي لهم كل الإحترام و التقدير [3].

1- حمدان بن عثمان خوجة ، المصدر السابق ، ص ص 75 _ 76 .

2- بشرى ناصر هاشم الساعدي ، ميساء لؤي عبد الله ،" حمودة باشا ودوره الإصلاحي في تونس (1782 _ 1814) "، مجلة الآداب ، مج : 02 ، تونس ، 2018 ، ص ص 213 _ 225 .

3- عيسى جمال بن أحمد ، محمد مكحلي ، المرجع السابق ، ص 423 .

من خلال ما سبق في هذا الفصل يمكن أن نستنتج مايلي :

- إن الخلافات السياسية كانت تخص فقط الحكمين والسلطتين في الإيالتين لأن شعبي البلدين عارضا هذا الخلاف و أنكراه ، ولم تؤثر على جسور التواصل الممتد بينهما عبر الصلات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.
- لعبت الطرق والقوافل التجارية دورا مهما في الحركية التجارية وحتى قوافل الحجيج خاصة طريق قسنطينة تونس ، فهذه الطرق سهلت التبادل التجاري بالتعرف على منتوجات كل إيالة وذلك بالتصدير والاستيراد .
- المحطات التجارية هي الاخرى برز مجالها بجعل القوافل التجارية المارة على الأسواق تقف للإستراحة مدة من الزمن بهدف استرجاع انفاسها وقوتها بعد مسافة طويلة .
- العلاقات الإجتماعية جعلت من البلدين مجتمع واحد بحكم الظروف التي كان يعيشها في التشابه ببعض جوانب الحياة ، ونجد المصاهرة بين الجزائر وتونس كونت من البلدين بلد واحد بعد اختلاط دمائهم مما ساهم في التقرب أكثر ، فالزواج يفرض على سكان إيالة تونس الإنتقال إلى إيالة الجزائر والعكس .
- قربت الهجرة المجتمعين الجزائري والتونسي من انتقال سكان المنطقتين بين حواضر البلدين سواء كان ذلك بالضغط الذي يشهده داخل منطقة او الرغبة في الاستقرار إلى مكان آخر بحثا عن العمل او التعرف على ذلك المجتمع لنقل أفكارهم وعاداتهم إلى الطرف الآخر ، فالتشابه في العادات والتقاليد خاصة في مجال اللباس والاكل أجبر سكان الإيالتين على التواصل والتقرب ببعضهما .
- التواصل الثقافي ظل قائما بين الجزائر وتونس وتجلى ذلك من خلال رحلات العلماء بين البلدين من اجل التبادل الفكري ، فلم يكن هناك حدا يفصل بين هؤلاء العلماء الذين كان هدفهم اكتساب المعارف والخبرات من غيرهم كما عرفت الايالتين هجرة علمائهما والاستقرار في البلد المجاور نظرا لاهتمام الحكام وتشجيعهم وتقريبهم لتولي أعلى الرتب ، ناهيك عن الطرق الصوفية التي انتشرت في كلا البلدين ، وساهمت في التقريب بين الشعبين .
- الدور الكبير الذين لعبه العلماء وأصحاب الطرق الصوفية في إخماد الصراع بين الحكمين الجزائري والتونسي ، كما ان حمودة باشا كان محبا للعلماء ومرابطا لهم ، وأكد ذلك علماء الجزائر ورجال الصوفية في كتاباتهم عن محبته لهم ، ونفس الأمر مدح علماء تونس الجزائر أثناء زياراتهم إليها .
- يمكن القول ان الحياة الثقافية كانت متميزة فيما بينهم بالنظر إلى ما تحويه من تفاعلات وتبادلات ثقافية وفكرية بين علماء الإيالتين ، حيث كانت حواضر وجامعات وزوايا الإيالتين تعج بالعلماء و ساهمت بشكل كبير في تخريج العديد من الطلبة مما يؤكد مدى الرابطة الثقافية و اواصر الأخوة بين شعبي الإيالتين .

الخاتمة

من خلال دراستنا لموضوع العلاقات الجزائرية التونسية في فترة حكم حمودة باشا الحسيني (1782 – 1814 م) توصلنا إلى جملة من النتائج الهامة نلخصها فيما يلي :

- تميز حكم حمودة باشا بالصراع مع دايات الجزائر الذين لم يحاولوا أبدا ضم الأراضي التونسية ، ولم يقدموا على تخريب عمرانها ، أو تغيير نظام حكمها ، بل اكتفوا بأخذ الغنائم و الحصول على تسهيلات تجارية ، ومحاولة فرض السيطرة .
- للخلفيات التاريخية دور هام في توجيه العلاقات بين الإيالتين الذي اتسم في هذا العهد في مجمله بطابع التوتر كهجرات القبائل الحدودية ، وأزمة الحدود و أدى ذلك إلى قيام مواجهات بين البلدين في العديد من المرات
- استمرار التدخلات الجزائرية في الشؤون الداخلية لتونس السبب في اندلاع المواجهات ، ورفض حمودة باشا لهذا الوضع ، وكرد فعل على ذلك بدأ في إعلان الحرب على الجزائر .
- يعتبر مشكل الحدود والقبائل الحدودية السبب الرئيسي في اندلاع المواجهات بين الإيالتين ، وبقاء الصراع متأججا طيلة فترة حكم حمودة باشا ، خاصة من اجل منطقتي قسنطينة والكاف .
- سعي حمودة باشا لتحقيق التوازن مع الجزائر و التخلص من الهيمنة الجزائرية التي فرضتها معاهدة 1756م المهينة والتي أخضعت تونس للجزائر .
- لجوء باي تونس حمودة باشا لاستخدام العيون والجواسيس ، واستمالة بعض القبائل الحدودية ، ودفعها إلى التمرد التي اندلعت في الإيالة الجزائرية .
- قيام حمودة باشا بتحريض القوى المعارضة في الجزائر كابن الأحرش وحتى الدول الأجنبية لزعزعة الإستقرار السياسي في الجزائر .
- مواجهات حمودة باشا ساهمت في تقليل تبعية تونس لدايات الجزائر وعدم التدخل في شؤونها الداخلية ، والقضاء على مختلف الإمتيازات التي كانت تفرضها الجزائر على تونس .
- كان موقف الدولة العثمانية من هذا الصراع هو اقامة صلح بينهما ، والقضاء على تلك المشاحنات .
- الخروج بنتيجة أنه بعد مرور قرن من الزمن تمكن باي تونس حمودة باشا من وضع حد للتبعية للجزائر التي اتضحت عبر اتفاقيات تحتوي على بنود مجحفة تخص الطرف التونسي .
- تخلل الصراع فترات هدنة لعلاج بعض الأزمات الداخلية ، وتحقيق انجازات داخلية هامة كتحرير الجزائر لوهران من الاحتلال الإسباني سنة 1792 م .

- اتضح أن الخلافات السياسية كانت على مستوى عمودي (السلطتين) ، لا على مستوى أفقي لأن شعبي الإيالتين عارضا الخلاف ، ولم يؤثر ذلك على جسور التواصل الممتد بينهما عبر علاقات اقتصادية ، اجتماعية وثقافية .
- تخلل العلاقات بين الإيالتين مظاهر للسلم والود مثل التحالف في حالة وجود خطر خارجي ، والتكاتف من أجل قطع دابر القبائل الحدودية المتمردة .
- وجود مبادلات تجارية تحكمت فيها القبائل الكبرى ، ومعظم التبادل كان يتم عبر طرق برية رئيسية .
- وجود روابط اجتماعية تجسدت في التشابه في مراسيم الاحتفالات مثل وجود مصاهرات فيما بينهم ، وتارة اخرى تسببها في صراعات بين الإيالتين .
- وجود علاقات ثقافية تمثلت في تبادل الزيارات العلمية ومنح الإجازات العلمية ، وتسليط الضوء على مكانة العلماء لدى الحكام .
- دور الطرق الصوفية في تمتين الروابط بين الشعبين ، و انتشار بعض فروعها في الإيالتين .

إن هذه الدراسة هي مساهمة بسيطة في كتابة تاريخ العلاقات التي ربطت الإيالتين الجزائرية والتونسية خلال فترة حكم حمودة باشا الحسيني ، من سنة 1782 إلى غاية وفاته سنة 1814 م ، و بعدها بسنوات قليلة تم عقد صلح نهائي بين الإيالتين ، أبرم في 20 مارس 1821 م و بوساطة عثمانية لتحقيق الوحدة و درء التدخلات الاجنبية الأوربية .

الملاحق

الملحق : 01 : حمودة باشا الحسيني[1]

حمودة باشا الحسيني

326

1- محمد بن خوجة ، المصدر السابق ، ص 326 .

الملحق رقم 02 : خريطة الإيالتين الجزائرية و التونسية خلال القرن 18 م[1]

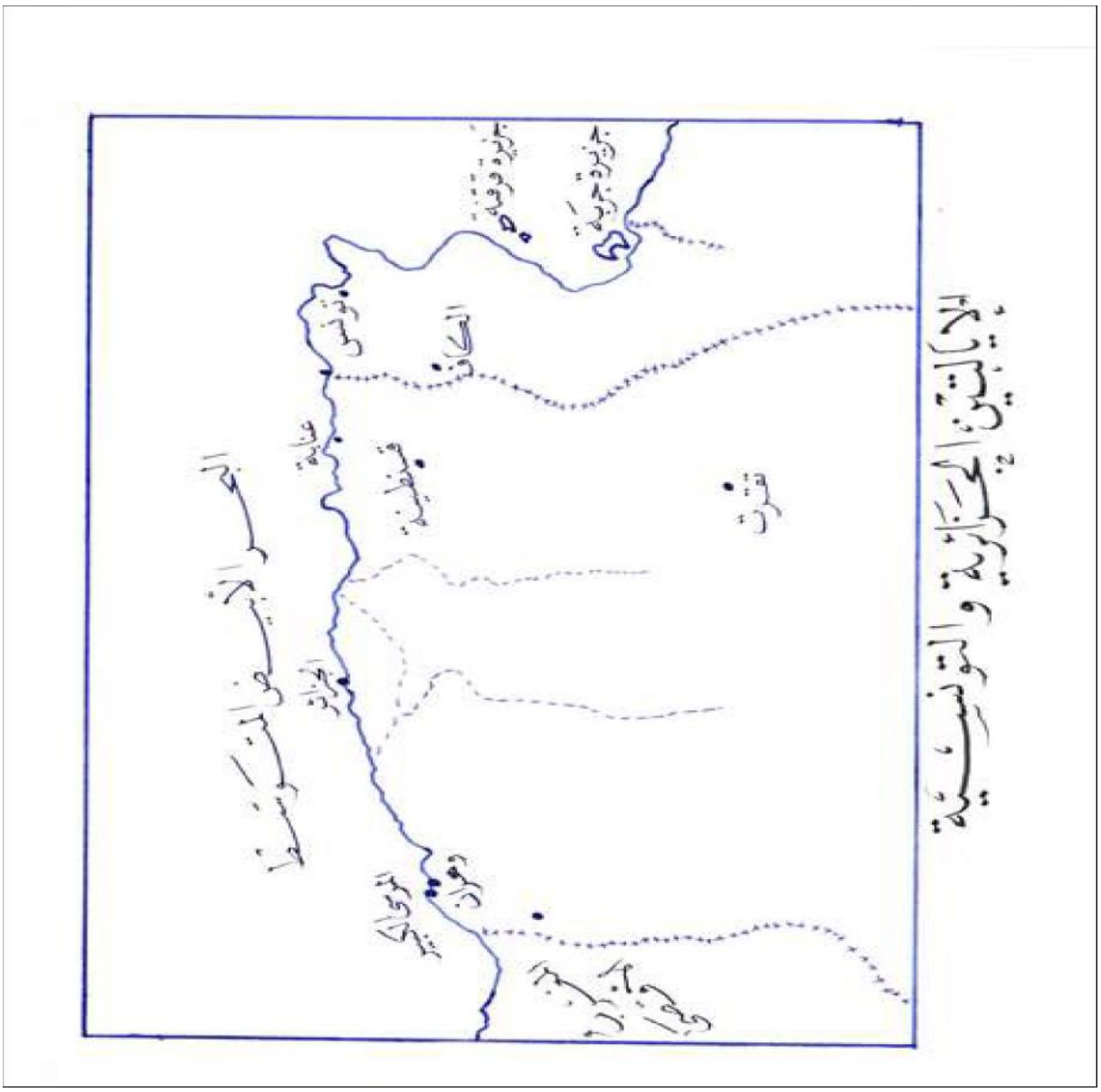

1- زهيرة سحابات ، المرجع السابق ، ص 244 .

الملحق رقم 03 : خريطة التقسيم الإداري الجزائري في العهد العثماني[1]

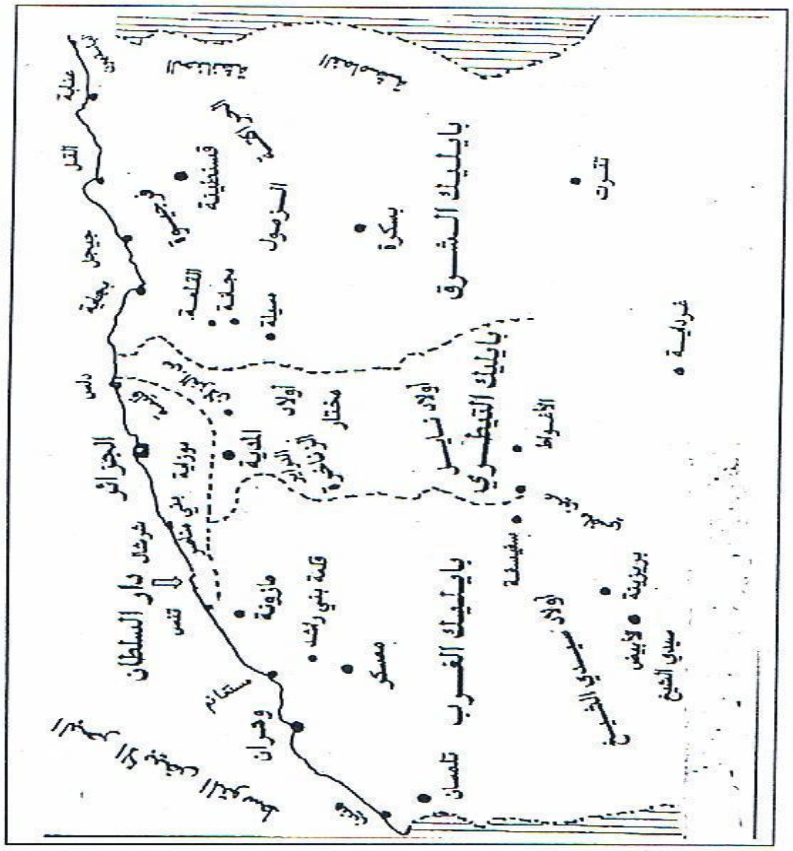

1- صالح عباد ، المرجع السابق ، ص 283 .

الملحق رقم 04 : معالم الحدود بين الإيالتين الجزائرية والتونسية[1]

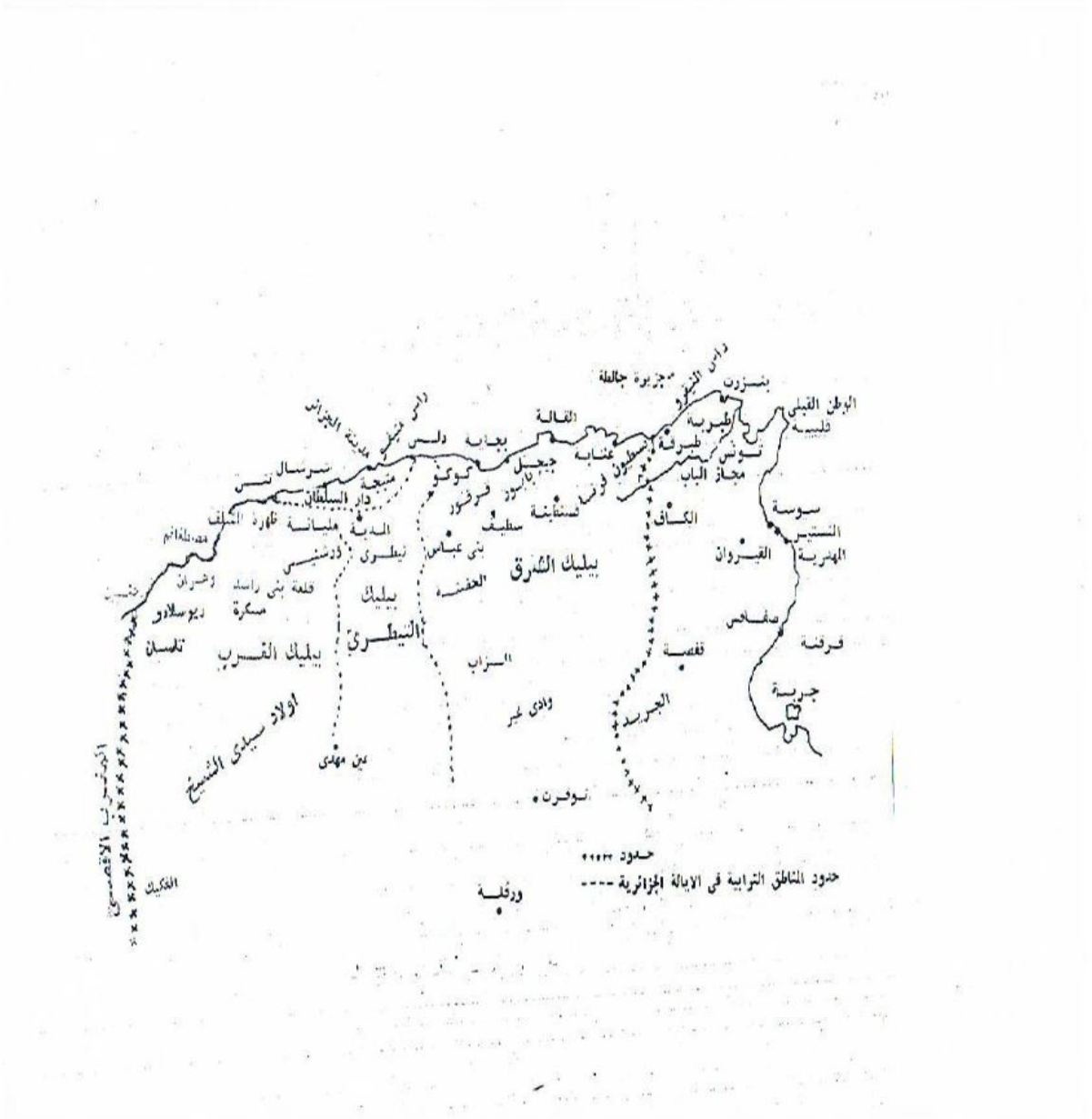

1- كوثر العايب ، المرجع السابق ، ص 126 .

الملحق رقم 05 : المبادلات التجارية بين الشرق الجزائري والأسواق التونسية[1]

أهم الأسواق	المقاصد	المواد المصدرة	المواد المستوردة
قسنطينة	تونس	الصوف –الجلود المدبوغة – التمور الممتازة الشواشي العادية – ريش النعام	المصنوعات الأوربية – العطور ، التوابل –القهوة الأقمشة القطنية والحريرية
الوادي	نفطة نفطة	التبغ –الفوة [2]– التمور	مواد البزازة –المواد العطرية – الأقمشة الحريرية – الأسلحة – الكبريت
تقرت	نفطة غدامس	الأقمشة الصوفية العادية – التمور – المضلات المواد العطرية – التمور الحبوب – الزيوت –الأقمشة	الأقمشة القطنية – العطور – المصنوعات الأوربية التبر–العبيد –حثث النعام – البخور السوداني

1- محمد العربي الزبيري ، تجارة الشرق ، ص 159 .

الملحق رقم 06 : اهم الطرق الرابطة بين الشرق الجزائري والأسواق التونسية[1]

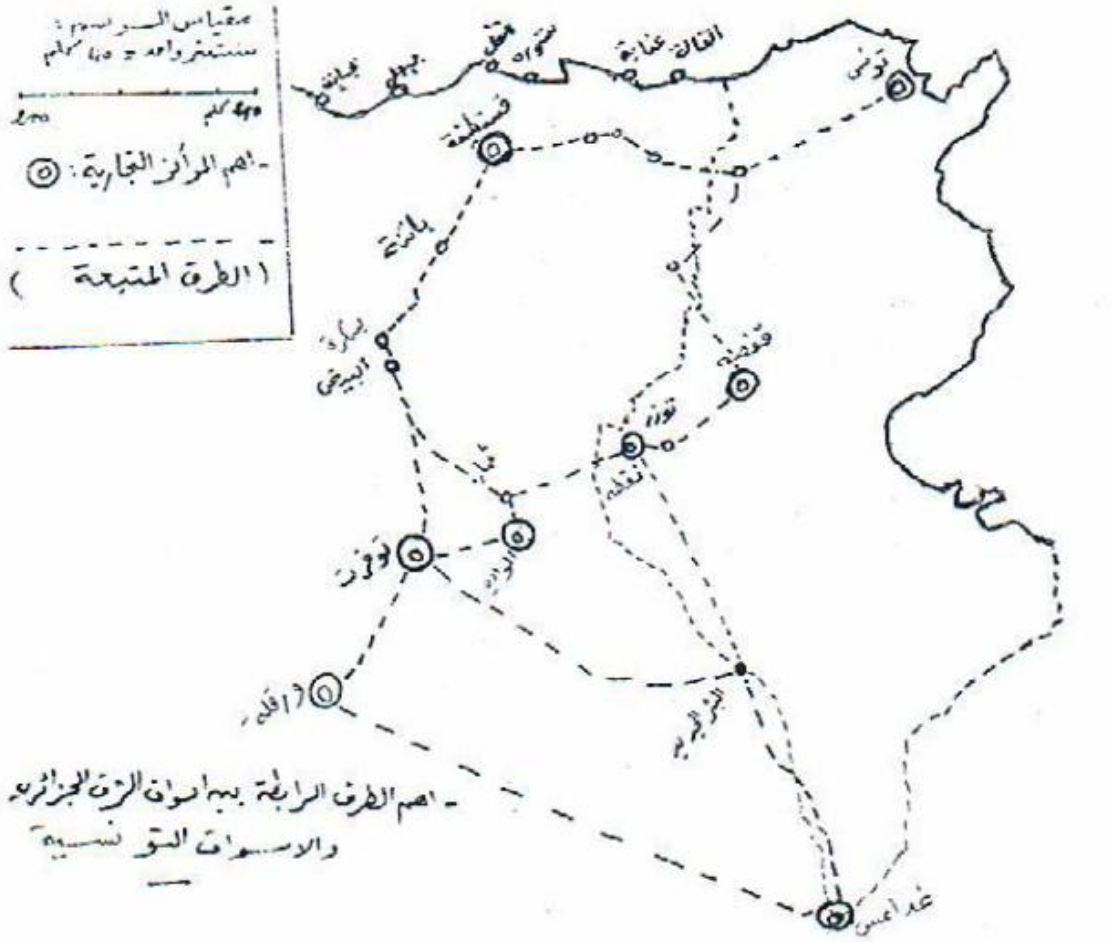

1- محمد العربي الزبيري ، تجارة الشرق ، 160 .

الملحق رقم 07 : أماكن تموضع بعض القبائل الحدودية بين الإيالتين الجزائرية والتونسية[1]

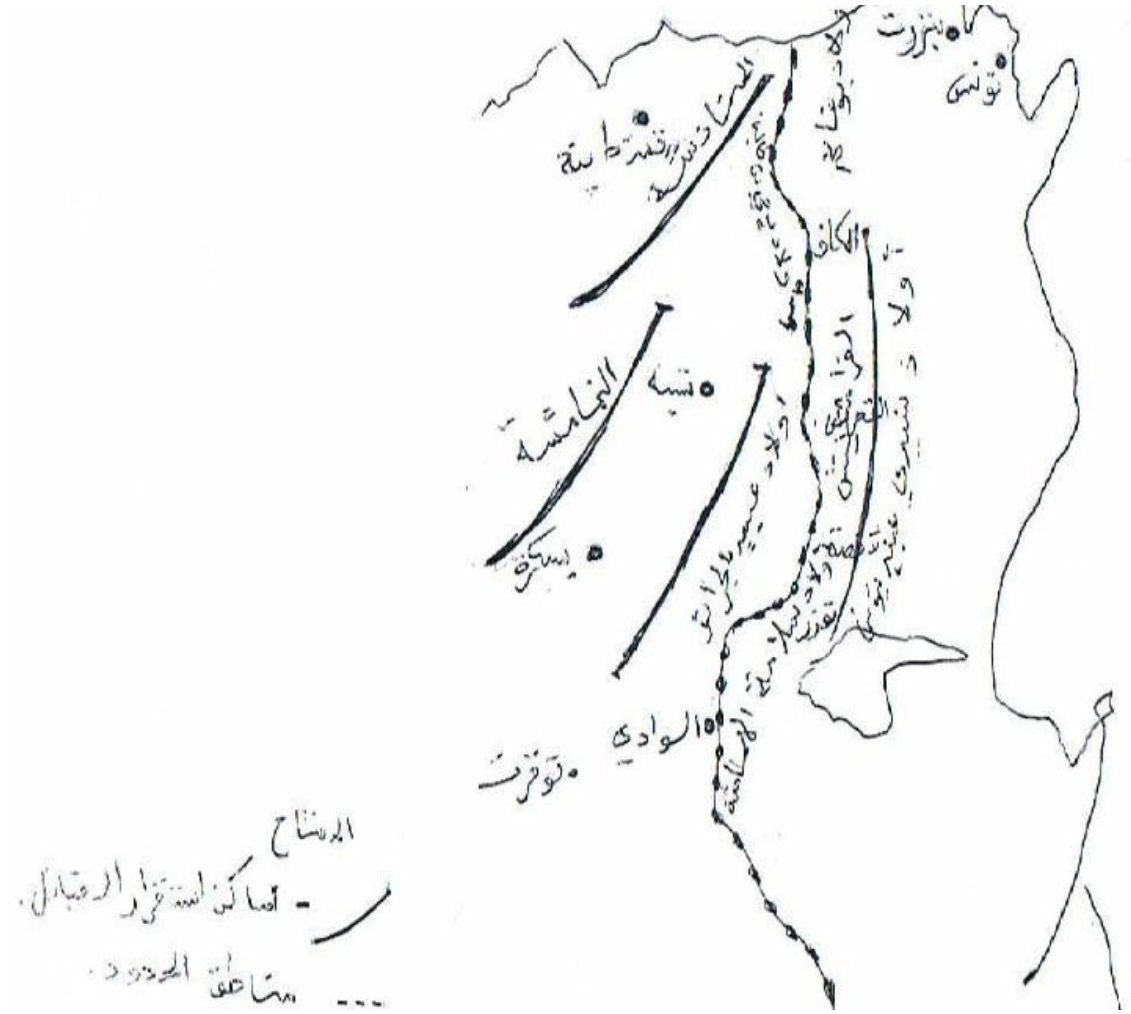

1- كوثر العايب ، المرجع السابق ، ص 134 .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

1-المصادر :

أ- باللغة العربية :

1- ابن أبي الضياف أحمد، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الامان،ج 2 ، تح : لجنة من وزارة الشؤون الثقافية ،تونس ، 1963 م .

2- ابن أبي الضياف أحمد، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الامان،ج 3 ، مر و تح : أحمد الطويلي ، الدار التونسية للنشر، تونس ، 1979 م .

3- ابن يوسف الصغير ، المشرع الملكي في سلطنة أولاد علي تركي ، تح: أحمد الطويلي ، ج1 ، المطبعة العصرية ، تونس، ط1 ، 1998م.

4- ابن ميمون محمد الجزائري ، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية ، تق و تح : محمد بن عبد الكريم ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، ط2 ، 1981 م .

5- ابن خوجة محمد ، صفحات من تاريخ تونس ، تح : حمادي الساحلي ، الجيلالي بن الحاج يحي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1 ، 1986م.

6- خوجة حسين ، ذيل بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان ، تح و تق : طاهر المعموري ، الشركة التونسية لفنون الرسم ، تونس ، 1975م.

7- خوجة حمدان بن عثمان، المرآة ، تق : محمد العربي الزبيري ، منشورات ANEP ، الجزائر، 2006

8- الزهار أحمد الشريف، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر،تح : أحمد توفيق المدني ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1980م.

9- العدواني محمد بن عمر ، تاريخ العدواني ، تح و تق و تع : أبو القاسم سعد الله ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط 2 ، 2005 م .

10- العنتري محمد الصالح ، فريدة المنسية في حالة دخول الترك بلد قسنطينة و استيلائهم على أوطانها (تاريخ قسنطينة) ، تر : يحي بوعزيز ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2005م.

11- العنتري محمد صالح ، مجاعات قسنطينة ، تح و تق : رابح بونار ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1974م .

12- كربخال مرمول ، إفريقيا ، تر: محمد حجي و آخرون ، ج 3 ، دار النشر المعرفية ، الرباط ، ، د ط ، 1989م.

13- المبارك أحمد ، تاريخ حاضرة قسنطينة ، تص و تع : نور الدين عبد القادر ، المطبعة الرسمية ، منشورات المدرسة العلمية للدراسات العربية ، الجزائر ، 1952 م.

14- المسعودي أبي عبد الله محمد الباجي ، الخلاصة النقية في أمراء افريقية ، تق– تح : زينهم محمد ، غرب محمد ، دار الآفاق العربية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط1 ، 2013 م .

15- مؤلف مجهول ، تاريخ بايات قسنطينة المرحلة الأخيرة ، تح : مختار حساني ، منشورات دحلب ، الجزائر ، 1999 م.

16- الناصري أبو راس ، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار ، ج1 ، تح: محمد بوركبة ، ، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف بتلمسان ، المطبعة الوطنية الرغاية ، ط1 ، 2012 م .

17- الناصري أبو راس ، فتح الإله و منته في التحدث بفضل ربي و نعمته حياة ابي راس الذاتية والعلمية ، تح – تع : محمد بن عبد الكريم الجزائري ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1982 م.

18- هابنسترايت ج . آو ، رحلة العالم الألماني إلى الجزائر و تونس وطرابلس(1145 هـ – 1732 م) ، تر و تق و تع :ناصر الدين سعيدوني ، دار الغرب الإسلامي ، تونس ، 2007م.

19- الوزان الحسن بن محمد ، وصف افريقيا ، ج2 ، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط 2 ، 1983 م .

ب- الأجنبية :

1- de tassy Laugier, histoire du royaume d'alger un diplomate français à Alger en 1724 , Edtionloysel , paris , 1992

2- Plantet Eugène, Correspondance des Beys de Tunis e des consulte de France avec cour de France (1577 – 1830) , tome 2 , Félix alcane , paris , 1894

2- المراجع :

أ- باللغة العربية :

1-الإمام رشاد ، سياسة حمودة باشا في تونس 1782 – 1814 م ، منشورات الجمعية التونسية ، تونس ، 1980 م.

2-بن بكر الحاج سعيد يوسف ، تاريخ بني ميزاب _ دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية ، الطباعة الشعبية للجيش ، الجزائر، د ط ، 2007 م.

3-بن خروف عمار ، العلاقات السياسية بين حكام الجزائر و تونس في القرن 18 م – 12 هـ ، دار الأمل للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 2017 م.

4-بن خروف عمار ، العلاقات الإقتصادية و الإجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب من القرن العاشر هجري إلى القرن السادس عشر ميلادي ، ج 2 ، دار الأمل للنشر والتوزيع ، الجزائر ، د ط ، 2008م.

5-بوحوش عمار ، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962 م ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1 ، 1997 م.

6-بوعزيز يحي ، الموجز في تاريخ الجزائر ، ج2 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، ط 2 ، 2002 م .

7-التيمومي الهادي ، المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي ، بيت الحكمة قرطاج ، تونس، ط1 ، 1999 م.

8-الجميعي عبد المنعم إبراهيم ، الدولة العثمانية و المغرب العربي ،" موسوعة الثقافة التاريخية و الأثرية والحضارية ، التاريخ الحديث والمعاصر " ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د ط ، 2007 م.

9-الجوهري يسري، شمال إفريقية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب فرع الإسكندرية، مصر ، ط6 ، 1980 م .

10- حسني عبد الوهاب حسن ، تاريخ خلاصة تونس ، دار الكتب العربية الشرقية، تونس ، ط3 ، 1993 م.

11- خير فارس محمد، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي ، مكتبة دار الشرق ، بيروت، ط1 ، 1979م.

12- روسو ألفونس ، الحوليات التونسية من الفتح العربي حتى احتلال فرنسا للجزائر ، تر وتق : الوافي عبد الكريم ، منشورات جامعة قاريونس ، ليبيا ، ط1 ، 1992 م .

13- الزبيري محمد العربي ، التجارة الخارجية للشرق الجزائري ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1972 م.

14- الزبيري محمد العربي ، مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث ، المؤسسة الجزائرية للطباعة ، الجزائر ، ط2 ، 1975م.

15- سبنسر وليم ، الجزائر في عهد رياس البحر ، تع و تق : عبد القادر زبادية ، دار القصبة للنشر والتوزيع ،الجزائر ، 2006 م.

16- سعد الله أبو القاسم ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ، ج3 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط3 ، 1996 م.

17- سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي (1500 – 1830 م) ، ج 1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1 ، 1998 م .

18- سعيدوني ناصر الدين ، الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر (دار السلطان) أواخر العهد العثماني (1791 – 1830 م)، الجزائر ، دار البصائر للنشر و التوزيع ، 2012 م.

19- سعيدوني ناصر الدين بوعبدلي والمهدي ، الجزائر في التاريخ العهد العثماني ، ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، دط ، 1995م .

20- سعيدوني ناصر الدين ، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1519 – 1830 م) ، ، دار البصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط 2 ، 2013 م.

21- سعيدوني ناصر الدين،ورقات جزائرية ، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العثماني ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1 ، 2000 م.

22- الشريف محمد الهادي ، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال ،تع : محمد الشاوش و محمد عجينة ، دار سراس للنشر ، تونس ، ط3 ، 1993 م .

23- الشريف محمد الهادي ، ما يجب أن نعرف عن تاريخ تونس ، تر : محمد الشاوش ، محمد عجينة ، دار سرار للنشر ، تونس، ط3 ، د س ن .

24- عباد صالح ، الجزائر خلال الحكم التركي 1514 – 1830 م ، ، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع ، الجزائر، ط2 ، 2007 م .

25- عبد القادر نور الدين ، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم العصور إلى انتهاء العهد العثماني ، دار الحضارة ، الجزائر ، 2006م .

26- العجيلي التليلي ، الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية (1881 _ 1939) ، منشورات كلية الآداب منوبة ، تونس ، 1992 م .

27- عطا الله الجمل شوقي ، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط1 ، 1977 م.

28- عميراوي احميدة ،علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني و بداية الاحتلال الفرنسي ، دار البعث للطبع و الشركة الوطنية للنشر ، الجزائر ،2012 م .

29- فركوس صالح ، المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين (814 م – 1962 م) ، دار العلوم للنشر والتوزيع ، عنابة ، 2002 م.

30- كوران أرجمنت ، السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر، تر: عبد الجليل التميمي ، منشورات الجامعة التونسية ، تونس ،1970 م.

31- مانتران روبير ، تاريخ الدولة العثمانية ، تر : بشير السباعي ، مكتبة الإسكندرية للنشر و التوزيع ، القاهرة ، ط1 ، 1993م.

32- محمد الطمار ، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، دط ، 1983 م .

33- المدني أحمد توفيق ، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766 – 1791 م ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1986 م.

34- مريوش أحمد ، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 م ، ط خ .

35- منصوري أحمد بن الطاهر ، الدر المرصوف في تاريخ سوف ، دار الهدى، د م ن .

36- مياسي ابراهيم ، الإحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية ، دار هومة ، الجزائر، د ط ، 2005 م.

37- نويهض عادل ، معجم اعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر ، مؤسسة نويهض الثقافية ، بيروت ، ط2 ، 1980 م.

38- هلايلي حنيفي ، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ، دار الهدى للطباعة و النشر والتوزيع ، الجزائر، ط1 ، 2008م.

39- هنية عبد الحميد ، تونس العثمانية بناء الدولة والمجال من القرن السادس عشر إلى منتصف القرن التاسع عشر ، منشورات تبر الزمان ، تونس ، 2016 م .

ب- الأجنبية :

1-M. Marggill Thomas .,Nouveau voyage a Tunis ,edition de dictionnaire des science medicales , paris , 1815

2-Mercier Ernest , Histoire de Constantine , Marle et F .Biron .Imprimeurs – éditeurs , Constantine , 1908.

3-المجلات :

1-بن احمد عيسى جمال ، مكحلي محمد ، "الصراع السياسي بين تونس والجزائر خلال حكم حمودة باشا (1782 – 1814) ، وملامح التواصل الثقافي بينهما "، مجلة آفاق الفكرية ، مج : 09 ، ع : 03 ، سيدي بلعباس ، الجزائر ، 2021 م.

2-بن خروف عمار ، ''علاقات الجزائر السياسية مع تونس في عهد الدايات ، 1671 – 1830 م'' ، مجلة الدراسات التاريخية ، مجلة دورية معهد التاريخ ، جامعة الجزائر،ع : 10 ، 1997 م .

3-بن نعماني سيدي أحمد ، "وظيفة وكيل الجزائر لدى الدولة العثمانية وبعض إيالاتها من خلال بعض وثائق الرصيدين العثمانيين الموجودين في الجزائر" ، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية ، مج1 ، ع1 ، جامعة الجزائر ، جانفي 2010 م.

4-الساعدي بشرى ناصر هاشم ، ميساء لؤي عبد الله ،" حمودة باشا ودوره الإصلاحي في تونس (1782 _ 1814) "، مجلة الآداب ، مج : 02 ، تونس ، 2018م.

5-المشهداني محمود حمد ، سلوك رشيد رمضان ، " أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني 1518 – 1830 " ، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية ، مج 05 ، ع 16 ، جامعة الوادي 1434 – 2013 م .

6-هويدي سلوى ، " علي باي وإدارته للأزمات (1759 – 1782 م) " ، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ، ع147 ، تونس ، 2012 م.

4-الرسائل الجامعية :

1-درويش الشافعي ، العلاقات السياسية والتجارية بين تونس ودول غرب أوربا المتوسطية خلال القرن 18 م ، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث ، عمار بن خروف ، جامعة غرداية ، 2015 – 2016 م .

2-سحابات زهيرة ، الحضور الجزائري في إيالة تونس خلال العهد العثماني (1628 – 1830 م) ، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر ، عسال نور الدين ، جامعة سيدي بلعباس ، 2019 – 2020 م.

3-الفيلالي السايح ، العلاقات السياسية الجزائرية التونسية 1800 – 1830 م ، بحث دراسات معمقة في التاريخ الحديث ، جامعة قسنطينة ، 1982 – 1983 م .

4-يوسفي الطيب ، العاقات العلمية بين الجزائر وتونس خلال العهد العثماني ، رسائل أئمة التيجانية إلى أعيان الجنوب التونسي انموذجا ، اطروحة دكتوراه ، جامعة الجيلالي اليابس ، سيدي بلعباس ، 2019 – 2020م.

5-بن يدر كريم ، الحرف والحرفيون بمدينة تونس خلال القرنين الثامن عشروالتاسع عشر ، رسالة ماجيستير ،عبد الحميد لرقش ، جامعة تونس ، 2004 – 2005 م .

6-حصام صورية ، العلاقات بين إيالتي الجزائر وتونس خلال القرن الثامن عشر ، مذكرة لنيل شهادة الماجيستر في التاريخ الحديث والمعاصر ، عبد المجيد بن نعيمة ، جامعة وهران ، الجزائر ، 2012 – 2013 م .

7-درقاوي منصور ، الموروث الثقافي العثماني بالجزائر ما بين القرنين (10- 13 هـ / 16 – 19 م) بين التأثير والتأثر ، مذكرة لنيل شهادة الماجيستر في التاريخ الحديث والمعاصر ، غير منشورة ، جامعة وهران 2014 – 2015 م.

8-صغيري سفيان ، العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد الدايات في الجزائر (1671 – 1830 م) ، مذكرة لنيل شهادة الماجيستر في التاريخ الحديث والمعاصر ، حسينة حماميد ، جامعة باتنة ، الجزائر ، 2011 – 2012 م .

9-العايب كوثر ، العلاقات الجزائرية التونسية خلال عهد الدايات 1711 – 1830 م ، مذكرة ماجيستر في التاريخ الحديث و المعاصر ، محمد السعيد عقيب ، جامعة الوادي ، 2013 – 2014 م .

10- مايدي كمال ، علاقات تونس مع دول أوربا الغربية المتوسطية وتأثير البحرية فيها في عهد حمودة باشا من 1782 إلى 1814 م ، مذكرة لنيل شهادة الماجيستر في التاريخ الحديث ، عمار بن خروف ، جامعة غرداية ، الجزائر ، 2011 -2012 م .

11- الجفالي يوسف ، الجالية الجزائرية بجهة الكاف من (1831 _ 1837) ، مذكرة لنيل شهادة الكفاءة في البحث ، المكاوي القسنطيني ، جامعة تونس الاولى ، 1992 .

12- محرز أمين ، الجزائر في عهد الأغوات (1659 – 1671 م) ، مذكرة لنيل شهادة الماجيستر في التاريخ الحديث ، جامعة الجزائر ، 2007 – 2008 م .

13- زبيدة كحلي ، لزعر كنزة ، العلاقات الجزائرية التونسية و المغربية من القرن 17 إلى القرن 19 م (1671 – 1848 م) ، مذكرة ماستر في التاريخ الحديث و المعاصر ، طيبي مهدية ، جامعة خميس مليانة ، 2017-2018 م .

14- شابي نعيمة ، العلاقات الجزائرية التونسية من خلال كتاب إتحاف أهل الزمان لابن أبي الضياف (1782 – 1872 م) ، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر ، 2013 -2014 م.

15- ناهي أسماء ، الإمتيازات الإقتصادية الفرنسية في الجزائر 1800 – 1830 م ، (مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر) ، جامعة خميس مليانة ، 2015 – 2016 م .

5- المعاجم :

1-صابان سهيل ، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، 2000 م.

فهرس المحتويات

شكر وتقدير

الإهداء

قائمة المختصرات

مقدمة

فصل تمهيدي : الوضع العام في إيالتي الجزائر وتونس خلال القرن 18 م

المبحث الاول : الوضع العام في إيالة الجزائر خلال القرن 18 م 09

1- الوضع السياسي..... 09 - 10

2-الوضع الإقتصادي..... 10 - 12

3-الوضع الإجتماعي والثقافي.....12 - 15

المبحث الثاني : : الوضع العام في إيالة تونس خلال القرن 18 م 17

1-الوضع السياسي..... 17 - 18

2-الوضع الإقتصادي.....18 - 19

3-الوضع الإجتماعي والثقافي.....19 - 20

الفصل الاول : العلاقات السياسية بين الإيالتين الجزائرية والتونسية في عهد حمودة باشا (1782 – 1814 م)

المبحث الاول : العلاقات السياسية بين الإيالتين ما بين (1782 – 1800 م)..... 25

1-أسباب ودوافع التوتر بين الإيالتين.....25 - 27

2- العلاقة بين حمودة باشا وباي قسنطينة (1783 – 1787 م).....28 - 32

3- الهدوء النسبي بين الإيالتين (1787 – 1800 م).....32 - 35

المبحث الثاني : العلاقات السياسية بين الإيالتين (1800 – 1814 م)..... 37

1-علاقة حمودة باشا بثورة ابن الأحرش.....37 – 39

2-المواجهة البرية بين الإيالتين بداية القرن 19 م.....39 - 46

3-المواجهات البحرية (1811 – 1813م)..... 46 - 50

الفصل الثاني : العلاقات التجارية ، الإجتماعية والثقافية بين الإيالتين

(1782 – 1814 م)

المبحث الاول : مظاهر العلاقات التجارية بين الإيالتين.....55

1-المبادلات التجارية..... 55 - 60

2-المحطات والطرق التجارية..... 60 - 61

3-الأسواق التجارية..... 61 - 63

المبحث الثاني : مظاهر الروابط الإجتماعية والتواصل الثقافي بين الإيالتين.....65

1-مظاهر الروابط الإجتماعية..... 65 - 70

2-مظاهر التواصل الثقافي..... 70 - 74

الخاتمة.....77 - 78

الملاحق..... 80 - 86

قائمة المصادر والمراجع.....88 - 96

فهرس المحتويات.....98 - 99

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila
جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة
Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and Student Issues

وثيقة ايداع مذكرة ماستر

الموضوع: العلاقات الجزائرية التونسية في فترة حكم حمودة باشا الحسيني (1782 - 1814م)

إعداد الطلبة:

1- خبال مختار ..... رقم التسجيل: 200740998535

2- بشيلوش حسينة محمد ..... رقم التسجيل:

القسم: التاريخ **الشعبة:** ح **التخصص:** تاريخ الجزائر الحديث 1519-1830

إشراف: الدكتور: كمال بيرم **الرتبة:** أستاذ محاضر (أ)

أقر بأنني تابعت العمل المذكور أعلاه في جلسات إشرافية طيلة الموسم الجامعي: 2021-2022 وأسمح بإيداعه على مستوى ادارة القسم للمناقشة.

موافقة وإمضاء المشرف(ة):

موافق

رئيس فريق الاختصاص

رئيس القسم

د/ بوقرولة عبد المالك

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة
Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and Student Issues

الرقم: /2022

تصريح شرفي خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

انا الممضى ادناه :

السيد(ة): خبال مختار

الصفة(طالب، استاذ باحث، باحث دائم): طالب

الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 203273776

الصادرة بتاريخ : 2018/08/12 عن دائرة : عين الحجل ولاية المسيلة

المسجل بكلية: العلوم الانسانية والاج قسم: التاريخ

تخصص: تاريخ الجزائر الحديث تحت رقم التسجيل: 200470985 35

والمكلف بإنجاز اعمال بحث(مذكرة التخرج، مذكرة ماستر، مذكرة ماجستير، اطروحة دكتوراه) .

عنوانها: العلاقات الجزائرية التونسية في فترة حكم محمد باشا الحسيني (1782 - 1814م)

اصرح بشرفي بانني التزم بالمعايير العلمية والمنهجية ومعايير الاخلاقيات المهنية والنزاهة الاكاديمية المطلوبة في انجاز البحث المذكور اعلاه

المسيلة في: 2022/06/07

امضاء المعني (ة):

نشهد للمصادقة على إمضاء السيد: المختار
المولود: 1995
عين الحجل يوم: 07 جوان 2022

المرجع: القرار الوزاري رقم: 933 المؤرخ في: 28-07-2016 المحدد للقواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
FACULTY OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and Student Issues

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة

الرقم: 2022/

تصريح شرفي خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

انا الممضى ادناه :

السيد(ة): شيكوش حسينة محمد

الصفة(طالب، استاذ باحث، باحث دائم): طالب

الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 204070898

الصادرة بتاريخ : 2019/01/29 عن دائرة : المسيلة

المسجل بكلية: العلوم الانسانية والاج قسم: التاريخ

تخصص: تاريخ الجزائر الحديث تحت رقم التسجيل: 200950577519

والمكلف بإنجاز اعمال بحث(مذكرة التخرج، مذكرة ماستر، مذكرة ماجستير، اطروحة دكتوراه) .

عنوانها: العلاقات الجزائرية التونسية في فترة حكم محمودة باشا الحسيني (1814 - 1782)

اصرح بشرفي بانني التزم بالمعايير العلمية والمنهجية ومعايير الاخلاقيات المهنية والنزاهة الاكاديمية المطلوبة في انجاز البحث المذكور اعلاه.

المسيلة في: 2022/06/08

امضاء المعني (ة):

المرجع: القرار الوزاري رقم: 933 المؤرخ في: 28-07-2016 المحدد للقواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها.